أسنى المطالب

في نجاة أبي طالب

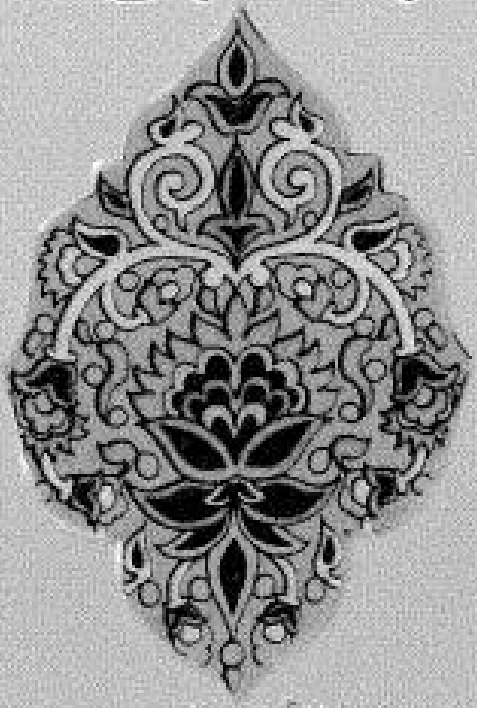

تأليف

أحمد بن الزيني دحلان الشافعي المكي

المتوفى عام ١٣٠٤ هـ

إعداد وتقديم

صالح الوردانى

على صراط الحق

الهدى
للإعلام والنشر

أسنى المطالب

في نجاة أبي طالب

تأليف

أحمد بن الزيني دحلان الشافعي المكي

المتوفى عام ١٣٠٤ هـ

إعداد وتقديم

صالح الوردانى

على صراط الحق

الهدى
للإعلام والنشر

www.aljawadain.org

اسم الكتـــاب: اسنى المطالب فى نجاة ابى طالب

المـــؤلـــف: احمد بن زينى دحلان

الـنـاشـــــر: الهدف للإعلام

رقـم الإيـداع ٩٩/١١٥٦٢

الترقيم الدولى: 977-5751-17-9

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــــــم

إن قضية تكفير الآباء والأجداد والأمهات ممن لهم صلة بالرسول (ص) إنما هى قضية سياسية وليست دينية.

فليست هناك نصوص قطعية تجزم بذلك وإنما هى مجموعة من الروايات محل أخذ ورد وقبول ورفض بين الفقهاء.

ولقد ترسخت هذه القضية فى العصر الأموى حين كان الصراع على أشده بين الأمويين وبنى هاشم ثم تبناها فقهاء الشام من بعد.

وجاء العباسيون فأهملوا هذه القضية أو تركوا فكرة التكفير تترسخ فى أذهان المسلمين من أجل الحط من بنى هاشم خصومهم.

من هنا فقد حالت السياسة دون حسم هذه القضية حيث أن الفقه الذى ساد فى واقع المسلمين منذ العصر الأموى وحتى الآن هو الفقه المعادى لبنى هاشم وآل البيت، ذلك الفقه الذى تجاوز حدود الآباء والأجداد ليصل إلى شخص النبى (ص) ذاته فيحيطه بكم من الروايات التى تحط من قدره وتشوه صورته بل وتشكك فى دوره ورسالته[1].

ذلك الفقه الذى ارتبط بالحكام ولم يرتبط بالقرآن.

---

(١) انظر نماذج من هذه الروايات التى تفضح علاقة الرسول بالنساء وتضعه فى دائرة المشرع وتصفه بالظلم تارة والجهل والنسيان تارة وغير ذلك من الصفات التى لا تليق بمقامه (ص) فى كتابنا: دفاع عن الرسول.

ذلك الفقه الذى نتجت منه قضايا كثيرة لا تقل خطورة عن القضية التى نحن بصددها هنا.

مثل قضية الإمامة[٢].
وقضية الروايات[٣].
وقضية العقائد التى ورثها المسلمون[٤].

وقد يسأل سائل: ماهو الهدف السياسى من وراء تكفير آباء النبى واجداده؟ وهل آباء النبى واجداده من الأهمية بحيث يصبحون قضية تنعكس على الإسلام؟

والجواب ما يلى:

إن الصراع بين البيت الأموى والبيت الهاشمى له جذوره التاريخية العميقة التى تمتد إلى ما قبل الإسلام بقرون طويلة. وهذا الصراع قد ولد نوعا من العداء والخصومة التى لا يمكن أن يمحها الإسلام[٥].

لأن الإسلام ببساطة شديدة لا يحول الناس إلى ملائكة.

ولن يجعل ابو سفيان وهند وولدهما معاوية ومن ورائهم بنى امية يلقون وراء ظهورهم ذلك الإرث العدائى للإسلام وبنى هاشم بمجرد أن دخل الرسول (ص) مكة فاتحا.

---

(٢) انظر لنا تثبيت الإمامة وعقائد السنة وعقائد الشيعة.
(٣) انظر لنا النص والسياسة.
(٤) انظر لنا أهل السنة شهب الله المختار.
(٥) انظر النزاع والتخاصم فيما بين بنى امية وبنى هاشم للمقريزى وكتب التاريخ.

وهذا هو السر من وراء وضع الرسول لبنى امية فى دائرة المؤلفة قلوبهم ولم يخرجهم من هذه الدائرة حتى توفى(٦).

وهذا هو السر وراء حمل معاوية ومن وراءه بنى امية راية الحرب على علي بن ابى طالب بمجرد ان تمكن وملك القوة.

ولأن معاوية يفتقد إلى الشرعية والوزن التاريخى فى مواجهة علي فقد لجأ إلى الحيلة والمكر واختراع الروايات التى تعلى من قدره وتحط من قدر خصمه.

أما الروايات التى تعلى من قدره فقد سقطت بعد سقوط الأمويين وأعلن فقهاء العصور التالية رفضها وحكموا عليها بالوضع(٧).

اما الروايات التى تحط من قدر الإمام علي وبنى هاشم فقد تنبه البعض لبعضها ومر أكثرها وتخلل كتب الأحاديث(٨).

ومن هذه الروايات مايتعلق بإيمان أبوى النبى وأجداده وابى طالب.

---

(٦) رفع عمر ابو سفيان ومعاوية من المؤلفة قلوبهم وأوقف العمل بهذا الحكم. انظر علاقة عمر بمعاوية فى الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة معاوية وكتب التراجم الأخرى وكتب التاريخ. وانظر لنا السيف والسياسة.

(٧) انظر باب ذكر معاوية فى فتح البارى شرح البخارى جـ ٧. وفيه قال إسحاق بن راهويه، لم تصح فى معاوية منقبه. وانظر تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بثلب معاوية بن ابى سفيان لابن حجر الهيتمى.

(٨) انظر مثلا قصة زواج علي بإبنه ابى جهل فى كتاب النكاح فى البخارى. وانظر كتابنا الخدعة. واحاديث نبوية اخترعتها السياسة.

ولو اعتبرنا ان التشكيك فى إيمان آباء النبى وأجداده سوف ينعكس على الإمام علي، فإنه سوف ينعكس بالتالى على الرسول (ص) ومنه سوف ينعكس على الإسلام. فإن العلاقة الوطيدة التى كانت بين الرسول (ص) وعلى ليست علاقة قبيلة وإنما هى علاقة شرعية تشهد بها عشرات النصوص(٩).

وإذا كان القوم قد شهدوا بصحة الخبر الذى يقول ان الرسول اصطفاه الله من بنى هاشم واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفى قريش من كنانه واصطفى كنانه من ولد إسماعيل فهى سلالة منتقاة بعناية الله سبحانه(١٠).

وشهد آخرون بأن قوله تعالى ﴿وتقلبك فى الساجدين﴾ دليل على طهارة سلالة النبى (ص)(١١).

وشهد آخرون بأن النصوص التى تتعلق بالاستغفار للمشركين هى نصوص مدنية لا صلة لها بالواقع المكى وأن الروايات التى رويت حولها غير ثابتة(١٢).

وأكد آخرون أن الروايات التى تفيد كفر آباء النبى وأجداده وابو طالب إنما هى فى نفس الوقت تفيد إيمانهم(١٣).

فمن أين إذن أتى الحكم بالكفر والضلال؟

---

(٩) انظر كتب السنن أبواب فضائل الإمام على وانظر خصائص الإمام على للنسائى.

(١٠) سياتى ذكر هذا الحديث ضمن فصول الكتاب.

(١١) انظر تفسير الرازى سورة الشعراء.

(١٢) سياتى بيان ذلك وانظر الفوائد الكامنة فى إيمان السيدة آمنة والتعظيم والمنة فى ان ابوى المصطفى (ص) فى الجنة للسيوطى.

(١٣) سياتى ذكر ذلك.

لقد كان بنو هاشم طوال تاريخهم يتولون أمور البيت الحرام والاعتناء بالحجاج والقيام بالمهام المقدسة وهذا يعنى أنهم لم يكونوا كبقية الناس.

يعنى أنهم الطائفة الموحدة على دين إبراهيم (ع).
يعنى أنهم الطائفة المميزة خلقا ودينا.
وإن دراسة سيرتهم تؤكد هذه الحقيقة(١٤).

من هنا يمكن القول ان الطعن فى آباء النبى (ص) وأجداده يعنى الطعن فى النبى ويعنى التشكيك فى اختياره من قبل الله تعالى من باب آخر.

وفى يقينى أن هذا هو الهدف من وراء ذلك كله. فقد دفع الحقد ببنى أمية إلى التشكيك فى أصل رسول الإسلام ليكون بابا للتشكيك فى الإسلام.

وهنا تبرز أهمية القضية وخطورتها.

ونعود إلى ابى طالب موضوع الكتاب الذى بين أيدينا طارحين السؤال التالى:
ماهى حقيقة علاقة أبو طالب بالرسول (ص) ؟
وهل كانت علاقة قبلية أم دينية ؟

والإجابة تفرض علينا استعراض العلاقة من بدايتها.

بدات العلاقة بين الرسول وأبى طالب بعد وفاة عبدالمطلب جد الرسول (ص)

---

(١٤) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ وستاتى الإشارة لذلك.

الذى كان عمره يومئذ ثمانية سنوات بوصية من عبدالمطلب الذى أوصى ولده ابو طالب بالرسول فجعله فى كفالته(١٥).

والسؤال هنا لماذا جعل عبدالمطلب النبى فى كفالة أبى طالب ولم يجعله فى كفالة شقيقه عبدالعزى بن عبدالمطلب الذى عرف فيما بعد بأبى لهب؟

والجواب هو أن الأمور لم تكن بالاختيار أو بالمفاضلة وإنما هى امور مرتبة من قبل الله سبحانه. ولو كان الرسول فى كفالة عبدالعزى لكان الأمر غير الأمر. أى أن الرسول لو لم يكن مختارًا من البداية للرسالة لكان من الممكن ان يقع من نصيب عبدالعزى ولكن لكونه رسولاً مختارًا فيجب أن يكون فى كفالة من يدرك هذه الحقيقة وهو مهيأ لقبولها والسير فى ظلالها. ولذا كان فى حضانة عبدالمطلب ثم فى كفالة أبى ابى طالب وهذه هى الإشارة الأولى لإيمان أبى طالب.

وتروى الكتب أن الرسول (ص) رحل مع عمه ابى طالب إلى الشام فى تجارة فلفت الرسول انتباه بحيرا الراهب وتنبأ له بالنبوة. وكذلك لفت الرسول انتباه بعض الكهان وأهل الفراسة مما دفع بأبى طالب إلى ان يعزل النبى عن هؤلاء ويغيبه عنهم(١٦).

وهذه هى الإشارة الثانية لإيمان أبى طالب.

فقد كان من الممكن لأبى طالب أن يستثمر هذه الفرصة التى لفت فيها النبى أنظار القوم فى تقوية مركزه وتحصيل الشهرة بين العرب لكنه فعل العكس من ذلك ----

---

(١٥) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(١٦) انظر المراجع السابقة.

وغيب النبى عن الأنظار. وذلك الموقف ليس له سوى تفسير واحد وهو الحفاظ على النبى المتربص به من الأعداء والخصوم، ولو لم يكن ابوطالب ينظر إلى ابن اخيه على انه نبى لشهره بين الناس بدافع القبلية.

وهذه هى الإشارة الثالثة لإيمان أبى طالب.

ويروى أن ابا طالب خطب فى الناس حين تزوج رسول الله بخديجة فقال بعد ان مدح النبى وبنى هاشم، الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل. ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلارجح. وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم[١٧].

فمن اين لأبى طالب هذا العلم بمستقبل ابن أخيه ؟

وإذا كان قد سمع هذا الكلام من سواه فهذا يعنى أنه قد آمن به.

وهذه إشارة رابعة لإيمان أبى طالب.

ويروى أن ابا طالب عثر على علي وهو يصلى مع الرسول (ص) فى شعاب مكة مستخفين عن الناس فلم يعترض عليه. ولم ينهاه عن فعله بل باركهما وايدهما ووعد الرسول بالنصرة[١٨].

---

(١٧) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(١٨) المراجع السابقة.

وهذه إشارة خامسة إلى إيمان أبي طالب.

وحين صدع رسول الله (ص) بالدعوة ضغط كبراء قريش وسادتها على أبي طالب وهددوه كي يمنع الرسول من الدعوة للإسلام ويسلمه لهم فأبى وقبل معاداة قريش على معاداة رسول الله (ص) وقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت. فو الله لا أسلمك أبدا[١٩].

فهل هذا الموقف يدل على الإيمان أم يدل على القبلية ؟
بالطبع يدل على الإيمان.

وأين القبلية وقد نبذ قومه وعاداهم من اجل رسول الله ؟

وحين تآمرت قريش على المسلمين وعذبتهم وحرضت كل قبيلة على البطش بمن آمن منها جمع أبو طالب بني هاشم ودعاهم إلى نصرة الرسول وحمايته فاجتمعوا إليه وقاموا معه[٢٠].

ولما قرر الرسول (ص) دفع المسلمين إلى الهجرة للحبشة هربا من البطش والأذى أرسلت قريش وراءهم من يحرض النجاشي على المسلمين كي يطردهم من بلاده. وما كان من ابي طالب إلا أن أرسل إلى النجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم[٢١].

---

(١٩) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.
(٢٠) المراجع السابقة.
(٢١) المراجع السابقة.

وهذا موقف ينم عن إيمانه. فقد تخطى بموقفه هذا حدود رسول الله الذى يعيش فى حمايته ليصل إلى حدود المسلمين الذين هم بعيدون عنه.

وإذا كانت هناك مصلحة قبلية كما يزعمون وراء نصرة ابو طالب للنبى (ص). فما هى المصلحة القبلية من وراء نصرته للمسلمين خارج قريش وحدود العرب ؟

ولما قررت قريش مقاطعة بنى هاشم وحصروهم فى الشعب وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى جوف الكعبة لم يتراجع ابو طالب عن نصرة النبى ومآزرته وشاركه كل بنى هاشم عدا عبدالعزى بن عبدالمطلب (ابو لهب)[٢٢].

وتحمل ابو طالب ومعه النساء والأطفال الجوع والعطش والحرمان من أجل الإسلام. وكان الأجدر بالقبيلة أن تدفع بأبى طالب - وقد استمر الحصار سنوات - إلى التخلى عن الرسول (ص) فى سبيل رفع الحصار. ولكنه الإيمان.

الإيمان هو المبرر الوحيد الذى يجعل أبو طالب يضحى مثل هذه التضحية.

وإذا كان القوم يعترفون بحب أبى طالب للرسول (ص) فسوف نعرض لبعض الأحاديث الواردة فى الحب على لسان الرسول (ص).

قال (ص): من أحب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان[٢٣].

---

(٢٢) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتاب التاريخ.
(٢٣) رواه الترمذى.

والسؤال هنا: ألا ينطبق هذا الحديث على سلوك أبى طالب ومواقفه من الرسول والدعوة ؟

وقال (ص): لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس اجمعين[٢٤].

ولقد قدم لنا ابو طالب البراهين الساطعة والدلائل القاطعة على هذا الحب فاستحق الإيمان.

وقال (ص): المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[٢٥].

وإن أبا طالب لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فقط بل نصر رسول الله ونصرهم. أفلا يستحق بعد هذا أن يكون مسلما.

وقال الحسن البصرى: الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل[٢٦].

وليس هناك من تعبير أدق من تعبير البصرى فى وصف حال ابى طالب فهو صدق بعمله ما وقر فى قلبه. وفى هذا القول كفاية.

أما هذا الكتاب الذى بين ايدينا فقد حشد الكثير من الدلائل والبراهين حول إيمان أبو طالب نترك القارئ يتبحر فيها ويستبصر بها محكما عقله وفطرته مسترشدا بحركة النبى (ص) وسيرته داعين المولى عز وجل طالبين منه الهداية والرشاد.

صالح الوردانى

القاهرة

---

(٢٤) البخارى ومسلم كتاب الإيمان.

(٢٥) مسلم كتاب الإيمان

(٢٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية باب الكلام فى زيادة الإيمان.

مقدمـــة المؤلـــف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين..

أما بعد.

فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زينى دحلان قد وقفت على تاليف جليل للعلامة النبيل مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجى المتوفى سنة الف ومائة وثلاثة فى نجاة ابوى النبى (ص) وذيله فى آخره بخاتمة ابى طالب عم النبى (ص) واثبت نجاته[1].

واقام أدلة على ذلك وبراهين من الكتاب والسنة وأقوال العلماء يحصل لمن تاملها انه ناج بيقين مع بيان معان صحيحة للنصوص التى تقتضى خلاف ذلك حتى صارت جميع النصوص صريحة فى نجاته وسلك فى ذلك مسلكا ماسبقه إليه أحد بحيث ينقاد لأدلته كل من انكر نجاته وجحد.

وكل دليل استدل به القائلون بعدم نجاته قلبه عليهم وجعله دليلا لنجاته وتتبع كل شبهة تمسك بها القائلون بعدم النجاة وأزال ما اشتبه عليهم بسببها واقام دليلا على دعواه.

---

(١) البرزنجى، [نسبة إلى قرية برزنج فى العراق] من اعيان القرن الثانى عشر وينتهى نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب. له الكثير من المصنفات. انظر سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر للمرادى الدمشقى. والزينى دحلان هو: احمد بن زينى دحلان المكى الشافعى صاحب كتاب خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ت ١٣٠٤هـ.

وكان فى بعض تلك المباحث مواضع دقيقة لا يفهمها إلا الفحول من العلماء ويعسر فهمها على القاصرين من طلبة العلم وبعض تلك المباحث زائدة عن إثبات المطلوب ذكرها تقوية لما أثبته وكشف الحجاب كل محجوب.

فأردت أن ألخص فى هذه الوريقات المقاصد التى اثبت بها نجاة ابى طالب ليكون من عرفها فى كل محفل هو الغالب.

واجتهدت فى تسهيل عبارات تلك المباحث الدقيقة حسب الإمكان وحذفت ما كان زائدًا عما هو المقصود بالبيان وزدت كلامًا يتعلق بذلك وجدته فى المواهب اللدنية والسيرة الحلبية له مناسبة لهذه القضية.

فجاء الجميع وافيًا بتحصيل المراد نافعًا إن شاء الله كل من وقف عليه من العباد وسميت هذا المؤلف (أسنى المطالب فى نجاة ابى طالب).

وأسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق والإخلاص والقبول وحسن الختام بجاه سيدنا محمد عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام.

الباب الأول: إثبات الإيمان

فأقول إن العلامة البرزنجى أثبت أولاً حصول الإيمان لأبى طالب بالحجج والبراهين ثم أثبت له النجاة وخرج ذلك على ارجح الأقوال عند المحققين.

اما إثبات الإيمان فإنه يتوقف اولاً على معرفة معنى الإيمان ومعناه شرعًا التصديق القلبى بوحدانية الله تعالى ورسالة النبى (ص) والتصديق بكل ماجاء به عن الله تعالى[1].

---

(١) اصل الإيمان فى اللغة التصديق. يقال آمنت به وآمنت له إذ صدقته ومنه قوله تعالى، «وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا» [يوسف، ١٧]. اى بمصدق.
وقال ابو الحسن الأشعرى ت ٣٢٤هـ: أن الإيمان هو التصديق لله ولرسله عليهم السلام فى اخبارهم ولا يكون هذا التصديق صحيحًا إلا بمعرفته. والكفر عنده هو التكذيب. وإلى هذا القول ذهب ابن الراوندى والحسين بن الفضل البجلى. انظر اصول الدين للبغدادى عبدالقاهر ابن طاهر التميمى ت ٤٢٩هـ.
وقال ابن ابى العز الحنفى ت ٧٩٢هـ. اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرًا: فذهب مالك والشافعى واحمد والأوزاعى وإسحاق بن راهويه وسائر اهل الحديث واهل المدنية واهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى انه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وذهب الكثير من اصحابنا إلى ما ذكره الطحاوى، انه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان. ومنهم من يقول، إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس باصلى. وإلى هذا ذهب الماتريدى ت ٣٣٣هـ. ويروى عن ابن حنيفة. انظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق احمد شاكر طبع القاهرة.
واجمعوا على انه لو صدق بقلبه واقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه، انه عاص لله ورسوله. مستحق للوعيد.
وقالوا، ان القول قسمان، قول بالقلب وهو الاعتقاد.
وقول باللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.
والعمل قسمان ، عمل القلب وهو نية وإخلاصة.
، وعمل الجوارح.
فإذا ما زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الأخر. فإن تصديق القلب شرط فى اعتبارها وكونها نافعة. وإذا بقى تصديق القلب وزال الباقى فهذا موضع المعركة.

وأما الإسلام شرعًا فهو الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية(٢).

الإسلام علانية والإيمان فى القلب فقد يجتمعان وذلك فى المصدق بقلبه المقر بالشهادتين.

وينفرد الإسلام عن الإيمان فى المنافق الذى ينطق بالشهادتين وينقاد لأحكام الإسلام ظاهرًا وهو بقلبه مكذب غير مصدق.

وينفرد الإيمان عن الإسلام فيمن يصدق بقلبه ولا ينطق بالشهادتين عنادًا ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية وذلك ككثير من علماء اليهود الذين عرفوا أن سيدنا محمدًا (ص) رسول صادق ولم ينطقوا بالشهادتين ولم يتبعوه ولم ينقادوا لما جاء به.

وقد قال الله تعالى فيهم «**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**» [البقرة: ١٤٦].

فهم لم يقروا برسالته عنادًا ويعتقدون فى قلوبهم صدقه فى دعوى الرسالة فهؤلاء مؤمنون به فى الباطن مكذبون به فى الظاهر عنادًا فلا ينفعهم الإيمان الباطنى حيث كان تكذيبهم الظاهرى عنادًا.

---

* والمعنى اللغوى وهو التصديق بالقلب هو الواجب على العبد حقًا لله. وهو أن يصدق الرسول (ص) فيما جاء به من عند الله. فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى. انظر شرح الطحاوية.

(٢) وهو ما يحكم الفقهاء بفسق تاركه واعتباره من العصاة وهو مفروض الطاعات كالصلاة والزكاة والصيام والحج واجتناب المحارم. انظر شرح الطحاوية.

واما إذا كان عدم الانقياد الظاهرى وعدم النطق بالشهادتين لعذر لا لعناد فإن الإيمان الباطنى ينفع صاحبه باطنا عند الله فى الدار الآخرة ولكنه فى الظاهر يعامل معاملة الكفار.

فيقال إنه كافر بحسب أحكام الدنيا.

والعذر الذى يمنع من الانقياد فى الظاهر له أسباب منها، الخوف من ظالم إن أظهر إسلامه وانقياده أن يقتله او يؤذيه اذى لا يحتمل.

أويؤذى أحدا من اولاده أو اقاربه فهذا يجوز له إخفاء إسلامه.

بل لو أكرهه الظالم على التلفظ بالكفر فإنه يجوز له ان يتلفظ به.

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله «**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» [النحل: ١٠٦].

ومن هذا القبيل امتناع أبى طالب من الانقياد فى الظاهر خوفا على ابن اخيه وهو سيدنا محمد (ص) فإنه كان يحميه وينصره ويدفع عنه كل أذى ليبلغ رسالة ربه.

وكان كفار قريش يمتنعون من إيذاء النبى رعاية لأبى طالب ولحمايته. وكانت رياسة قريش بعد عبدالمطلب لأبى طالب فكان أمره عليهم نافذا وحمايته عندهم مقبولة لعلمهم بأن ابا طالب على ملتهم ودينهم ولو علموا انه اسلم وتبع النبى (ص) فإنهم لا يقبلون حمايته ونصره بل كانوا يقاتلونه ويؤذونه ويفعلون معه من الأذى أكثر مما يفعلونه بالنبى (ص).

ولا شك أن هذا عذر قوى لأبى طالب مانع من إظهار الانقياد الظاهر والاتباع للنبى فلهذا كان يظهر لهم انه على دينهم وملتهم وانه إنما يدافع عن النبى لأجل القرابة التى بينه وبينهم.

وكانوا يعتقدون انه يحميه وينصره للحمية لا للاتباع فى الدين بل للحمية التى كانت مشهورة بين العرب وقد كان فى الباطن قلبه مملوًا بتصديقه (ص) لما شاهده من المعجزات كما سيأتى إيضاح ذلك كله.

وكان يأتى فى الظاهر بألفاظ تدل على ذلك وبألفاظ أخرى يوهم بها على الكفار انه على دينهم وليس متابعًا للنبى (ص) ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من انه متبع للنبى لينفذوا حمايته ونصره.

ثم ذكر البرزنجى اختلاف العلماء فى النطق بالشهادتين هل هو شطر أى جزء من مسمى الإيمان أو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية. فيترتب على كونه شطرًا أى جزء إن تارك ذلك مع القدرة يكون كافرًا مخلدًا فى النار.

وعلى كونه شرطًا لإجراء الأحكام الدنيوية يكون غير مخلد.

فقال: قال السفاقسى فى شرح التمهيد: أن كون الإيمان هو التصديق فقط هو الرواية الصحيحة عن أبى حنيفة[٣].

وقال العلامة العينى فى شرح البخارى: ان الإقرار باللسان شرط لإجراء الأحكام

---

(٣) كما اشرنا سابقا وانظر شرح الطحاوية واصول الدين.

حتى أن من صدق الرسول فى جميع ما جاء به فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقر بلسان(٤).

وقال حافظ الدين النسفى: إن ذلك هو المروى عن أبى حنيفة وإليه ذهب أبو الحسن الأشعرى فى أصح الروايتين عنه وهو قول أبى منصور الماتريدى(٥).

وقال عضد الدين فى المواقف: الإيمان عندنا هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة.

وقال شارحه السيد الشريف: يعنى بقوله عندنا اتباع ابى الحسن الأشعرى.

وقد قرر الغزالى هذا المذهب فى إحياء علوم الدين وأطال فيه.

وهو قول إمام الحرمين وقول الأشاعرة وقول القاضى الباقلانى والأستاذ أبى إسحق الاسفرايينى ونسبه التفتازانى إلى جمهور المحققين(٦).

واستدل له بالأحاديث منها قوله (ص): من علم أن الله ربه وإنى نبيه صادقا عن قلبه حرم الله لحمه على النار(٧).

---

(٤) انظر كتاب الجنائز وكتاب الإيمان.

(٥) كما اشرنا سابقا.

(٦) إمام الحرمين هو الفقيه الشافعى المعروف بضياء الدين ابو المعالى عبدالملك الجوينى له الكثير من المصنفات ت عام ٤٧٨هـ.
والباقلانى هو القاضى ابو بكر محمد بن القاسم المعروف بالباقلانى البصرى من علماء الكلام الأشاعرة نسبة إلى أبى الحسن الأشعرى ت ٤٠٣هـ.
والاسفرايينى هو إبراهيم بن مهران الاسفرايينى من فقهاء الشافعية وأهل الكلام ت ٤١٨هـ.

(٧) رواه الطبرانى فى الكبير عن عمران بن حصين.

وروى مسلم عن عثمان بن عفان أن رسول الله قال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة(٨).

وروى الطبرانى عن سلمة بن نعيم الأشجعى - رضى الله عنه - قال قال رسول الله (ص) من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة قال قلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق(٩).

قال وفى أحاديث الشفاعة من هذا شئ كثير حتى يقال له (ص) اخرج من النار من فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان بتكرير أدنى ثلاث مرات.

وعقد البرزنجى فصلا مستقلا ذكر فيه كثيرا من تلك الأحاديث وكلها دالة على أن من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من إيمان لا يخلد فى النار.

ونقل التفتازانى فى شرح المقاصد والكمال بن الهمام فى المسايرة وابن حجر فى شرح الأربعين: إن شرط النجاة فى الآخرة إذا لم يطالب - به أى النطق بالشهادتين - فإذا طولب به وامتنع عنادا وكراهة للإسلام أى امتنع امتناعا على وجه الآباء عن الإسلام والكراهية والعناد فلا ينجو.

ويفهم من هذا القيد أنه لو ترك النطق بعد المطالبة لا إباءا عنه ولا عنادا بل لعذر صحيح وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يكون كافرا فيما بينه وبين الله تعالى.

---

(٨) رواه مسلم فى كتاب الإيمان وهو دليل صريح على إيمان ابى طالب حيث ربط الإيمان بالعلم لا بالنطق.

(٩) روى هذا الحديث أيضا مسلم فى كتاب الإيمان والبخارى كتاب اللباس وكتاب الجنائز. انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

بل لو تكلم بالكفر والحالة هذه لا يضره.

قال تعالى: «**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**» فهذه النصوص كلها تدل على أن الإيمان هو التصديق فقط ويقابلها القول بأن التصديق وحده لا يكفى بل لابد من النطق باللسان مع التصديق فمن لم ينطق مع قدرته كان مخلدا فى النار وقال بهذا كثيرون(١٠).

ونقل النووى فى شرح مسلم اتفاق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على هذا القول واعترضوا عليه فى حكاية الاتفاق(١١).

قال ابن حجر فى شرح الأربعين أن لكل من الأئمة الأربعة قولا بانه مؤمن عاص بترك التلفظ بل الذى عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققى الحنفية كما قال المحقق الكمال بن الهمام وغيره أن الإقرار باللسان إنما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب انتهى.

ثم ذكر اختلاف العلماء فى انه هل يشترط لفظ الشهادتين بلفظهما المعروف أو يكفى الإتيان بغير المعروف مما يدل على الإيمان.

وذكر فيه قولين للعلماء فقيل إنه يشترط اللفظ المعروف ولا يكفى غيره والراجح انه لا يشترط خصوص اللفظ المعروف وأن الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف(١٢).

---

(١٠) أى من أهل السنة. انظر شرح الطحاوية.

(١١) انظر كتاب الإيمان.

(١٢) راجع ما أشرنا إليه سابقا. وهى مسألة محل خلاف. وما دامت المسألة قد دخلت دائرة الخلاف فهذا يعنى انعدام الجزم ببطلان المرجح.

وعبارة البرزنجي ثم ليعلم أن المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصهما خلافا للغزالي كما ذكر ذلك النووي في الروضة ونسبه إلى الجميع فنقل عن الحليمي في منهاجه أنه لا خلاف أن الإيمان ينعقد بغير القول المعروف وهو كلمة لا إله إلا الله.

حتى لو قال لا إله غير الله أو ماعدا الله او سوى الله أو من إله إلا الله أو لا إله إلا الرحمن أو لا رحمن إلا الله أو إلا الباري فهو كقوله لا إله إلا الله.

وكذا لو قال محمد نبي الله او مبعوثه او احمد أو الماحي أو غير ذلك او ما يؤدي ذلك باللغات العجمية صح إسلامه وحكم بكونه مسلمًا.

الباب الثانى: أبو طالب والنبى (ص)

ثم قال البرزنجى إذا علمت ذلك فنقول تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يحب النبى (ص) ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه ويصدقه فيما يقوله ويأمر أولاده كجعفر وعلي باتباعه ونصره وكان يمدحه فى اشعاره بما يدل على تصديقه وكان ينطق بأن دينه حق فمن كلامه المعروف،

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

ومن شعره قوله،

الم تعلموا انا وجدنا محمدا رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب[1]

وقد أوصى قريشا باتباعه وقال والله لكأنى به وقد غلب ودانت له العرب والعجم فلا يسبقنكم إليه سائر العرب فيكونوا أسعد به منكم.

وهذه الوصية تكررت منه مرارا تارة يوصى بها بنى هاشم وتارة يوصى بها كافة قريش.

وأوصى قريشا عند قرب موته بوصية طويلة ولفظها، يامعشر قريش أنتم صفوة

---

(١) البيت الأول والثانى وردا فى سيرة ابن إسحاق مع اختلاف يسير ولم يورد ابن هشام فى شرحه لسيرة ابن إسحاق البيت الأول.
ونص البيت الأول هو،
وعرضت دينا قد عرفت أنه خير أديان البرية دينا
ونص البيت الثانى عند ابن إسحاق وابن هشام هو،
الم تعلموا انا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط فى أول الكتب

الله من خلقه وانتم قلب العرب وفيكم السيد المطاع والمقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا احرزتموه ولا شرفا إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الرب.

وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية - يعنى الكعبة - فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة وصلوا أرحامكم فإن صلة الرحم منسأة أى فسحة فى الأجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا داعى الله واعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام.

وأوصيكم بمحمد خيرًا فإنه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن.

وايم الله كأنى انظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس د اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء ريش وصناديدها أذنابًا ودورها خرابًا وضعفاؤها أربابًا وإذا اعظمهم عليه احوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده. قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها.

يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة.

وفى رواية دونكم وابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهدية إلا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه

الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى[٢].

فانظر واعتبر أيها الواقف على هذه الوصية كيف وقع جميع ما قاله ابو طالب بطريق الفراسة الصادقة الدالة على تصديقه النبى.

وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا.

وقد نوه ابو طالب بنبوة النبى قبل ان يبعث لأنه ذكر ذلك فى الخطبة التى خطب بها حين تزوج (ص) بخديجة رضى الله عنها.

فقال فى خطبته تلك الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسمعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن برجل إلا رجح شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جسيم وكان هذا قبل بعثته (ص) بخمس عشرة سنة[٣].

فانظر كيف تفرس فيه ابو طالب كل خير قبل بعثته فكان الأمر كما قال وذلك من اقوى الدلائل على إيمانه وتصديقه بالنبى حين بعثه الله تعالى.

---

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى وانظر دلائل ابى نعيم.

(٣) ورد نص هذه الخطبة فى صفة الصفوة لابن الجوزى جـ ١/ ٢٩. ط بيروت من اول الكلام حتى قوله لايوزن. وبقية الكلام مختلف وليس فيه إشارة إلى نبوة محمد (ص) ووردت بكاملها فى هامش باب تزويج خديجة . سيرة ابن هشام تحقيق محيى الدين عبدالحميد.

وروى البخارى فى تاريخه عن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه ان قريشا قالت لأبى طالب رضى الله عنه إن ابن أخيك هذا قد آذانا.

فقال للنبى (ص) إن بنى عمك هؤلاء زعموا انك تؤذيهم.

فقال لو وضعتم الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله (ص) باكيا
فقال ابو طالب يا ابن اخى قل ما احببت فوالله لا اسلمك لهم ابدا.

وقال لقريش والله ما كذب ابن اخى قط[٤].

فانظر إلى نفى الكذب عنه بالحلف بحضور خصمائه قريش وقد جاؤه يشكون إليه.

وانظر إلى قوله زعموا أنك تؤذيهم حيث لم يطلق القول بأنه يؤذيهم بل جعل ذلك أذى باعتبار زعمهم وانهم يزعمون انه من قبل نفسه وليس من عند الله فقال إن كان أذى أى كما زعموا فانته عن أذاهم فلما قال له إنه من عند الله بيقين كما انكم على يقين من رؤية هذه الشمس صدقه ونفى عنه الكذب وقال الله ما كذب ابن اخى قط.

وقد روى ابو طالب أحاديث عن النبى وكلمات تدل على إيمانه وامتلاء قلبه من التوحيد.

---

(٤) انظر سيرة ابن هشام جـ ١. وتاريخ الطبرى جـ ١.

فمن ذلك ما رواه الخطيب البغدادى بإسناده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمدا الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن ابيه على بن ابى طالب قال سمعت أبا طالب يقول حدثنى محمدا ابن اخى وكان والله صدوقا قال، قلت له بم بعثت يا محمد؟ قال، بصلة الأرحام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة(٥).

والمراد من الصلاةركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها كانتا فى أوائل الإسلام أو المراد صلاة التهجد فإنه (ص) كان يفعله من اول بعثته.

ولا يصح حمل الصلاة على الصلوات الخمس لأنها إنما فرضت ليلة الإسراء وكان ذلك بعد موت أبى طالب بنحو سنة ونصف وكان موت ابى طالب فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من البعثة وعمره بضع وثمانون سنة.

والمراد من الزكاة مطلق الصدقة وإكرام الضيف وحمل الكل ونحو ذلك من الصدقات المالية.

ومثل هذه الأشياء كان ابو طالب اسها ومعدنها.

وليس المراد الزكاة الشرعية المعروفة ولا زكاة الفطر لأن ذلك إنما فرض بعد الهجرة فى المدينة وكل ذلك كان بعد موت ابى طالب.

واخرج الخطيب أيضا بسنده إلى أبى رافع مولى ام هانىء بنت أبى طالب انه سمع أبا طالب يقول حدثنى محمدا ابن اخي ان الله امره بصلة الأرحام وان يعبد الله لا يعبد معه احدا. قال ومحمد عندى الصدوق الأمين.

---

(٥) انظر تاريخ بغداد وهذا الإسناد خاص بآل البيت.

وقال ايضا سمعت ابن اخى يقول أشكر ترزق ولا تكفر تعذب.

واخرج ابن سعد والخطيب وابن عساكر عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال كنت بذى المجاز مع ابن أخى فأدركنى العطش فشكوت إليه ولا أرى عنده شيئا قال فثنى وركه ثم نزل فاهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت[٦].

قال البرزنجى فلو لم يكن موجدا لما رزقه الله الماء الذى نبع للنبى (ص) الذى هو افضل من ماء الكوثر ومن ماء زمزم.

وقال: الذى يرى مثل هذه المعجزة كيف لا يقع التصديق فى قلبه وقد كثرت القرائن الدالة على التصديق.

واخرج ابن عدى عن أنس بن مالك قال مرض ابو طالب فعاده النبى فقال يا ابن اخى ادع الله أن يعافينى فقال اللهم اشف عمى فقام كانما نشط من عقال.

واخرج ابو نعيم من طريق ابى بكر بن عبدالله بن الجهم عن ابيه عن جده قال سمعت ابا طالب يحدث عن عبدالمطلب إنه راى فى منامه أن شجرة نبتت من ظهره قد نال راسها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب قال وما رأيت نورا ازهر منها اعظم من نور الشمس سبعين ضعفا.

ورأيت العرب والعجم ساجدين وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر.

---

(٦) صفة الصفوة: جـ ١ / ٤٠ وطبقات ابن سعد: جـ ١ / باب ذكر علامات النبوة فى رسول الله قبل أن يوحى إليه. وانظر تاريخ بغداد وتاريخ دمشق.

ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقومًا من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها اخذهم شاب لم أرقط احسن منه وجهًا ولا أطيب ريحًا فيكسر اظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدى لأتناول نصيبًا فلم أنل.

فقلت لمن النصيب؟ فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها.

فانتبهت مذعورًا فاتيت كاهنة لقريش فاخبرتها فرأيت وجه الكاهنة قد تغير. ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس.

فقال عبدالمطلب لأبى طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى (ص) قد بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين.

فيقال له الا تؤمن فيقول السبة والعار[٧].

وإنما كان يقول ذلك تعمية وتسترًا وإظهارًا لقريش إنه على دينهم ليتم له نصرة النبى وحمايته لأنهم حيث علموا انه معهم وعلى دينهم يقبلون حمايته بخلاف ما لو اظهر لهم مخالفتهم واتباعه النبى (ص) فهذا هو العذر له فى قوله السبة والعار وفى بقائه ظاهرًا على دينهم.

وأخرج ابن سعيد عن عبدالله بن ثعلب بن صغير العذرى إن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بنى عبدالمطلب فقال لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا.

---

(٧) دلائل النبوة.

قال البرزنجي قلت بعيد جدا ان يعرف أن الرشاد في اتباعه ويأمر غيره ثم يتركه هو.

وروى الحافظ ابن حجر في الإصابة عن علي رضي الله عنه انه لما أسلم قال له ابو طالب الزم ابن عمك.

وأخرج أيضا عن عمران بن حصين إن أبا طالب قال لابنه جعفر صل جناح ابن عمك فصلى جعفر مع النبي (ص) كما صلى علي رضي الله عنه[٨].

قال البرزنجي، فلولا إنه مصدق بدينه لما رضي لإبنيه ان يكونا معه وأن يصليا معه بل ولا كان يامرهما بالصلاة فإن عداوة الدين أشد العداوات كما قيل،

كل العداوات قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك في الدين

فهذه الأخبار كلها صريحة في أن قلبه طافح وممتلىء بالإيمان (ص).

ومن ذلك ايضا إن أبا طالب سافر إلى الشام وكان عمر النبي (ص) إذ ذاك تسع سنين فصحبه معه فرآه بحيرا الراهب - بفتح الباء - ورأى فيه علامات النبوة فاخبر عمه ابا طالب وأمره بارجاعه إلى مكة مخافة عليه من اليهود فرده إلى مكة[٩].

ومن ذلك أيضا ما شاهده أبو طالب في زمن عبدالمطلب من استسقائه بالنبي (ص).

---

(٨) انظر ترجمة الإمام علي في جـ ٢. وانظر ترجمة جعفر في جـ ١ ترجمة رقم ١١٦٦.

(٩) انظر قصة بحيرا الراهب في سيرة ابن هشام جـ ١ وطبقات ابن سعد جـ ١ وكتب التاريخ.

فقد روى الخطابى أن قريشًا تتابعت عليهم سنوجدب فى حياة عبدالمطلب فارتقى هو ومن حضر معه من قريش ابا قبيس بعد ان استلموا ركن البيت فقام عبدالمطلب واعتضد النبى (ص) فرقعه على عاتقه وهو يومئذ غلام ثم دعا فسقوا فى الحال.

واستسقى به أبو طالب أيضًا بعد وفاة عبدالمطلب حين اصاب اهل مكة قحط شديد فأتوا ابا طالب فقالوا له قد أقحط الوادى واجدب العيال فهلم فاستسق. فخرج ابو طالب ومعه النبى (ص) وهو غلام فأخذه ابو طالب فألصقه بالكعبة ولاذ الغلام اى أشار بإصبعيه إلى السماء كالملتجىء وما فى السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا وامطرت السماء واغدودق الوادى وكثر قطره واخصب النادى والبادى.

وفى هذه يقول ابو طالب بعد بعثه النبى يذكر قريشًا يده (ص) وبركته عليهم من صغره:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل[١٠]

فهذه الآثار والأخبار كلها صريحة فى ان ابا طالب راى من الآيات والمعجزات وخوارق العادات التى ظهرت للنبى (ص) ما اوجب ان يصدقه ويؤمن به إيمانًا لا شك فيه ولا تردد.

وراى ابو طالب ايضًا للنبى (ص) آيات وخوارق عادات فى صغره غير هذه وذلك أن ابا طالب كان قليل المال وكان ذا عيال فكان عياله إذا أكلوا وحدهم جميعًا أو فرادى

---

(١٠) البيت الأول ذكره ابن هشام بعد حديث استسقاء رسول الله لأهل المدينة والبيتين ذكرا قبل ذلك فى قصيدة طويلة لأبى طالب مع اختلاف كلمة رحمه بدل نعمة فى البيت الثانى.

لم يشبعوا وإذا اكل معهم النبى (ص) شبعوا فكان ابو طالب إذا اراد ان يغديهم أو يعشيهم يقول لهم انتم كما انتم حتى ياتى ابنى فيأتى رسول الله فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم وإذا كان طعامهم لبنا شرب رسول الله أولهم ثم تناول العيال القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم اى جميعهم من القدح وإن كان احدهم وحده يشرب قدحا واحدا وحده فيقول أبو طالب للنبى (ص) إنك لمبارك[١١].

واخرج ابو نعيم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان ابو طالب يحب النبى (ص) حبا شديدا لا يحب اولاده مثله ولذا لاينام إلا جنبه ويخرجه معه حين يخرج.

وكان النبى (ص) يحب ايضا ابا طالب حبا شديدا ولا يأوى إلاإليه ولا يطمئن قلبه إلا باتصاله به وكان (ص) يقول لما مات ابو طالب: نالت قريش منى من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب.

وقال ايضا: ما نالت قريش منى شيئا أكره حتى مات ابو طالب.

ولما راى قريشا تهجموا على اذيته قال يا عم ما اسرع ما وجدت بعدك.

ومات ابو طالب وخديجة فى عام واحد فكان رسول الله (ص) يسمى ذلك العام عام الحزن[١٢].

---

(١١) انظر طبقات ابن سعد .

(١٢) انظر سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ سنة وفاة ابى طالب عام الحزن.

ولما ظهر أمر النبى (ص) وصار يدخل فى دينه كثير من الناس اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله.

وقالوا قد افسد علينا ابناءنا ونساءنا.

وقالوا لبنى هاشم خذوا هذه دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحوا انفسكم.

فابى بنو هاشم. فعند ذلك اجتمع راى قريش على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب وإخراجهم إلى شعب ابى طالب والتضييق عليهم بالمنع من حضور الأسواق وان لايناكحوهم وان لا يقبلوا لهم صلحا ابدا ولا تاخذهم بهم رافة حتى يسلموا إليهم رسول الله للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة(١٢).

وقيل إن ابا طالب لما راى اجتماع قريش على قتل النبى (ص) جمع بنى هاشم وبنى المطلب مؤمنهم وكافرهم وامرهم ان يدخلوا برسول الله الشعب ويمنعوه ففعلوا ولم يتخلف عنهم إلا ابو لهب.

فلما علمت قريش ذلك اجمع رايهم على أن يكتبوا عهودا ومواثيق على ان لا يجالسوهم ولا يناكحوهم ولا يقبلوا لهم صلحا ابدا وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة.

---

(١٢) انظر قصة حصار قريش لبنى هاشم فى الشعب وقصة الصحيفة فى سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

ومكث بدو هاشم فى الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين واصابهم ضيق شديد حتى أكلوا ورق الشجر يتقوتون به.

وكان ابو طالب فى تلك المدة يتحفظ غاية التحفظ على النبى (ص) حتى انه إذا جاء الليل واراد النبى ان ينام يفرش له فراش فى الموضع الذى يعتاد ان ينام فيه فيضطجع فيه النبى ثم يقيمه عمه عن فراشه المعتاد ويامر بعض بنيه ان ينام فى ذلك الموضع ويفرش للنبى فى موضع آخر غير معتاد نومه فيدعه ينام فيه كل ذلك مبالغة فى حفظه وحراسته.

والذى كتب الصحيفة لقريش شلت يده وأوحى الله تعالى للنبى (ص) انه سبحانه وتعالى سلط الأرضة على صحيفتهم التى كتبوها وعلقوها فى الكعبة فأكلت ما فيها من عهد وميثاق وقطيعة رحم ولم يبق فى الصحيفة غير اسم الله عز وجل فإنهم كانوا يكتبون باسمك اللهم.

فاخبر النبى عمه ابا طالب بذلك فخرج من الشعب حتى أتى المسجد فاجتمع عليه قريش وظنوا انه يريد ان يسلمهم النبى ليقتلوه.

فقالوا له توبيخا له ولمن معه قد آن لكم ان ترجعوا عما احدثتم علينا وعلى انفسكم.

فقال ابو طالب إنما اتيتكم فى امر نصف بيننا وبينكم - اى امر وسط - لا حيف فيه علينا ولا عليكم إن ابن أخى اخبرنى ولم يكذبنى قط ان الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التى كتبتم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم

وبقى بها كل ما ذكر به الله تعالى فإن كان الحديث كما يقول فافيقوا - فى رواية - نزعتم اى رجعتم عن سوء رايكم وإن لم ترجعوا فو الله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا.

وإن كان الذى يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم.

فقالوا قد رضينا بالذى تقول.

وفى رواية أنصفتنا فاخرجوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما اخبر الصادق المصدوق (ص).

فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قالوا اى قال اكثرهم هذا سحر ابن اخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا.

وبعضهم ندم وقال هذا بغى منا على إخواننا وظلم.

فقال لهم ابو طالب بعد ان وجد الأمر كما أخبر (ص) يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين إنكم أولى بالظلم والإساءة والقطيعة.

ودخل ابو طالب ومن معه تحت أستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا إلى الشعب.

وعند ذلك مشى طائفة منهم فى نقض الصحيفة وإبطال ذلك الحصار[١٤].

---

(١٤) انظر طبقات ابن سعد جـ ١ / باب ذكر حصر قريش رسول الله (ص) وبنى هاشم فى الشعب. وانظر سيرة ابن هشام جـ١ / باب خبر الصحيفة وباب حديث نقض الصحيفة.

والكلام على ذلك طويل وإنما القصد بيان أن ابا طالب أطلعه الله على كثير مما خص الله نبيه به من الآيات والمعجزات وخوارق العادات من مبتدا امره (ص) وهو صغير إلى منتهاه وباطلاعه على تلك الآيات والمعجزات صار قلبه مشحونا ممتلئا بالإيمان والتصديق بالنبى (ص) إيمانا قطعيا لا شك فيه ولا شبهة ولم يظهر ذلك الإيمان ويتابعه ظاهرا مبالغة فى حفظ النبى وحمايته وصيانته عما يؤذيه فكان يظهر لقريش انه على ملتهم ودينهم فلا يستطيعون مخالفته.

فمن عرف ذلك وقف على باطن الأمر وحقيقته. ولم يشك فى إيمان أبى طالب فكان فى نصرة النبى يخادع قريشا مخادعة الحرب حتى تم امر النبى (ص) وفشت دعوته.

الباب الثالث: شعر أبى طالب

وقد صرح بالتصديق بنبوة النبى (ص) فى كثير من اشعاره وكان فى بعض تلك الأشعار يأتى بالفاظ توهم على قريش انه معهم وانه على ملتهم كل ذلك مخادعة لهم للمبالغة فى حفظ النبى وحمايته فمن أشعاره التى دلت على تصديقه بنبوة النبى (ص) ما تقدم من قوله:

الم تعلموا انا وجدنا محمدا رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب قالها فى زمن محاصرة قريش لهم فى الشعب وهى قصيدة طويلة بليغة غراء تدل على غاية محبته للنبى وعلى التصديق بنبوته وشدة حمايته له والذب عنه ومطلعها:

الا بلغا عنى على ذات بيننا لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب
الم تعلموا انا وجدنا محمدا رسولا كموسى صح ذلك فى الكتب

ويروى نبيا كموسى خط ذلك فى الكتب.

وإن عليه فى العباد مودة ولا خير ممن خصه الله بالحب

ومنها:

فلسنا ورب البيت نسلم احمدا لعزاء من عض الزمان ولا كرب[1]

ومن شعره قوله:

---

(١) انظر ابن هشام جـ/١ باب خبر الصحيفة.

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

هكذا نسب الحافظ بن حجر فى الإصابة هذا البيت لأبى طالب وقيل إنه لحسان ابن ثابت الأنصارى.

قال البرزنجى: ولا مانع أن يكون لأبى طالب وأخذه حسان فضمنه شعره.

واجتمع مرة كفار قريش وجاؤا ابا طالب ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة وكان من أحسن فتيان قريش وقالوا لأبى طالب خذ هذا بدل محمد يكون كالأبن لك واعطنا محمدا نقتله.

فقال ما انصفتمونى يا معشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابنى تقتلونه ثم قال:

والله لـن يصلـوا إليـك بجمعهـم حتى أوسد فى التراب دفينـا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنـى وعلمـت انـك صـادق ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقـد علمـت بأن دين محمـد من خير اديان البرية دينا[٢]

وزاد بعضهم بعد هذا:

---

(٢) انظر النص فى سيرة ابن هشام دون الأبيات المذكورة باب الجهر بالدعوة جـ ١/.
ووردت الأبيات فى نص ابن إسحاق باب ما نال اصحاب رسول الله (ص) من البلاء والجهد. مع اختلاف فى بعض الكلمات.

لولا المسبة او حذار ملامة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا[٣]

فقيل إن البيت موضوع ادخلوه فى شعر ابى طالب وليس من كلامه وقيل انه من كلامه وأتى به للتعمية على قريش ليوهم عليهم انه معهم وعلى ملتهم ولم يتابع محمدا ليقبلوا حمايته ويمتثلوا امره.

ومن شعره قوله فى النبى (ص)،

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى رحمة وفواضل

وهذان البيتان من قصيدة طويلة لأبى طالب قيل إنها ثمانون بيتا افرد لها بعض العلماء شرحا مستقلا وقيل إنها تزيد على مائة بيت قالها ابو طالب حين حصر قريش لهم فى الشعب واخبر قريشا انه غير مسلم محمدا رسول الله (ص) لأحد ابدا حتى يهلك دونه ومدحه فيها مدحا بليغا وأتى فيها بكلام صريح فى انه مصدق بنبوته ومؤمن به فمنها البيتان السابقان ومنها قوله،

لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد واخبتـه حـب المحـب المواصل
لقـد علمـوا أن ابننا لا مكذب لدينـا ولا يعزى لقـول الاباطل
فمن مثله فى الناس اى مؤمل إذا قاسـه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش يوالـى إلها ليـس عنـه بغافـل
فأصبح فينا احمد فى ارومة تقصـر عنهـا سـورة المتطـاول
حدبت بنفـس دونـه رحميتـه ودافعـت عنه بالذرا والكلاكل[٤]

---

(٣) هذه الزيادة وردت فى نص ابن إسحاق.

(٤) انظر سيرة ابن هشام وهذه الأبيات منتقاة من قصيدة طويلة لأبى طالب.

وفى القصيدة أبيات كثيرة مثل هذه فى المعنى والبلاغة.

قال ابن كثير ان هذه القصيدة بليغة جدا لا يستطيع ان يقولها إلا من نسبت إليه وهى أفحل من المعلقات السبع وابلغ فى تادية المعنى(٥).

واخرج البيهقى عن انس بن مالك قال جاء اعرابى إلى النبى (ص) وشكا الجدب والقحط وانشد أبياتا فقام رسول الله (ص) حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بأبرقها ثم بعد ذلك جاؤا يضجون من كثرة المطر خوف الغرق فقال اللهم حوالينا ولا علينا وضحك (ص) حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابى طالب لو كان حيا لقرت عيناه. من ينشدنا قوله؟

فقال على رضى الله عنه وكرم وجهه كأنك تريد قوله:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال (ص) أجل(٦).

قال البرزنجى: فقول النبى (ص) لله در اى طالب يشهد له بانه لو راى النبى وهو يستسقى على المنبر لسره ذلك ولقرت عيناه فهذا من النبى شهادة لأبى طالب بعد موته انه كان يفرح بكلمات النبى وتقر عينه بها وما ذلك إلا لسر وقر فى قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكمالاته.

---

(٥) البداية والنهاية: جـ ١.

(٦) انظر دلائل النبوة وجاء نص هذا الحديث فى سيرة ابن هشام ايضا غير انه لم يشر إلى ذكر على فيه .

ثم قال البرزنجى، فتأمل هذه المعانى الدقيقة ولا تكن ممن استحقرها لحقارة قائلها وفوق كل ذى علم عليم.

ومن غرر مدائح ابى طالب للنبى (ص) الدالة على تصديقه إياه قوله،

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت انساب عبد منافها ففى هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا هو المصطفى من سرها وكريمها

وهذا موافق لقوله (ص) واصطفانى من بنى هاشم(٧).

قال البرزنجى، وهذا نطق بالوحى قبل صدوره من النبى فإنه أخبر بذلك بعد مدة من قول ابى طالب.

والحديث وحى كالقرآن فثبت بهذه الأخبار والأشعار أن ابا طالب كان مصدقا بنبوة النبى وذلك كاف فى نجاته.

قال القرافى فى شرح التنقيح عند قول ابى طالب،

وقد علموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا يعزى لقول الأباطل

---

(٧) جاءت هذه الأبيات فى سيرة ابن هشام. أما حديث الاصطفاء فنصه،
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم. رواه مسلم كتاب الفضائل. باب فضل نسب النبى (ص) .

إن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان وإن ابى طالب ممن آمن بظاهره وباطنه غير انه كفر ظاهرا ولم يذعن للفروع.

وكان يقول إنى لأعلم ان ما يقول ابن اخى حق ولولا إنى أخاف ان تعيرنى نساء قريش لاتبعته اهـ.

وإجيب كما مر بأنه لم يذعن ظاهرًا خوفا من ان قريشًا لا تقبل حمايته.

وقوله لولا إنى أخاف أن تعيرنى نساء قريش إنما قال ذلك تعمية على قريش ليوهم عليهم انه على دينهم وهذا عذر صحيح بلغ به تمكين النبى (ص) فى نبوته والدعوة إلى ربه.

وجاء فى مسلم انه يقال للنبى (ص) يوم القيامة اخرج من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان(٨).

فهذا الحديث وغيره مما يماثله من الأحاديث كلها تدل بظاهرها على أن النطق بالشهادتين ليس شرطا فى النجاة بل ولا دخل له فيها وإلا لما كان قائلها نفاقا فى الدرك الأسفل من النار.

---

(٨) مسلم كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار وليس هذا نصه. فقد ورد كما يلى: يدخل الله اهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل اهل النار النار ثم يقول: انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجوه.

الباب الرابع: أبو طالب والشفاعة

قال البرزنجى، وهذا الذى اخترناه من كون نجاة ابى طالب لما كان عنده من التصديق الكافى فى النجاة فى الآخرة هو طريق المتكلمين من ائمتنا الأشاعرة وهو مادلت عليه احاديث الشفاعة واحاديث الشفاعة كثيرة وكلها فيها التصريح بأنها لا تنال مشركا وقد نالت الشفاعة ابا طالب كما سياتى بيانه فدل ذلك على عدم اشراكه.

ثم ذكر البرزنجى الدلائل التى تمسك بها القائلون بعدم نجاته وقلب استدلالهم بها على عدم النجاة وجعلها دالة على النجاة.

فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه عم النبى (ص) انه قال لرسول الله (ص) أن ابا طالب كان يحوطك اى يحفظك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك.

قال نعم وجدته فى غمرات من النار.

اى مشرفا عليها كما سياتى تفسيره.

وفى رواية، وكان فى غمرات من النار اى مشرفا عليها فأخرجته إلى ضحضاح ولولا انا لكان فى الدرك الأسفل من النار[1].

والضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين فاستعير للنار.

---

(١) البخارى فى كتاب مناقب الأنصار باب قصة ابى طالب. ومسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبى (ص) لأبى طالب.

وفى رواية للبخارى ومسلم أيضًا عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه (ص) ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تناله شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منها دماغه[٢].

وروى مسلم وغيره عنه (ص) ان ابا طالب أهون أهل النار عذابًا[٣].

قال القائلون بعدم نجاته أن هذه الأحاديث الصحيحة دالة على كفره وعلى انه فى النار فلا يمكن القول بنجاته لأن النبى (ص) أخبر بحاله فيما بينه وبين الله فى الدار الآخرة فدل انه لم يكن مصدقًا بقلبه واما ما صدر منه من نصرة النبى (ص) فإنما كان من باب حمية العرب والأنفة من ان يغتال ابنه من بين يديه وقد كلفه بذلك عبدالمطلب.

ثم قال البرزنجى: قلت الجواب إن نفس الأحاديث التى ذكرت تدل على نجاته وذلك ان الله تعالى قد أخبر عن الكفار بأنهم لا يخفف عنهم من عذابها وبأنهم لا يفتر عنهم وبانهم ما هم منها بمخرجين وبأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين إلى غير ذلك.

وقد ثبت فى الأثر الصحيح أن الجحيم هى الطبقة التى يعذب فيها عصاة المؤمنين ثم يخرجون منها وهى أعلى طبقات النار وعصاة المؤمنين عذابهم أخف من عذاب الكفار.

---

(٢) البخارى كتاب مناقب الأنصار. ومسلم كتاب الإيمان وانظر طبقات ابن سعد جـ ١ باب ذكر ابى طالب.

(٣) كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذابًا.

وحيث صح إن أبا طالب أهون أهل النار عذابًا على الإطلاق فيكون أهون عذابًا حتى من عصاة المؤمنين ولو لم نقل بذلك لما صدق قوله (ص)، إنه اهون أهل النار عذابًا.

ولو فرض انه كافر يخلد فى النار وهو أهون أهل النار عذابًا لكان عذاب الكفر اهون من عذاب بعض المؤمنين العصاة وهذا لا يقول به أحد.

فثبت ان عذابه أهون من عصاة المؤمنين.

وثبت انه تنفعه شفاعة النبى (ص) ولهذا خفف عنه العذاب وجعل اخف أهل النار عذابًا فأخرج من طمطام النار وغمراتها أى أبعد عما كان مشرفًا على دخوله لولا النبى (ص) إلى ضحضاح منها والبس نعلين من النار فصارت لا تغلى ظهور رجليه وهذه هى أعلى النار لا أعلى منها بحيث ان النار ما مست إلا تحت قدميه وليس ذلك إلا فى الطبقة الفوقانية التى مكان عصاة هذه الأمة.

وقد صحت الأحاديث بانهم يخرجون منها بحيث لا يبقى فيها من كان فى قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل من إيمان[٤].

وقد صح ايضًا ان هذه الطبقة بعدما يخرج منها عصاة هذه الأمة تنطفى نارها وتصفق الريح ابوابها وينبت فيها الجرجير ولا يجوز أن ينبت فيها الجرجير وفيها نار تمس تحت القدم فوجب ان يخرج منها ابو طالب بهذه الأدلة وكلها صحيحة.

---

(٤) انظر مسلم كتاب الإيمان باب آخر أهل النار خروجًا. والبخارى كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار وكتاب التوحيد وسنن البيهقى ومسند أحمد وانظر أبواب الشفاعة فى كتب العقائد.

ثم قال البرزنجى : ونقول ورد فى الصحيح انه (ص) قال شفاعتى لأهل الكبائر[٥].

وفى لفظ: لمن لم يشرك بالله شيئا. واللام للاختصاص مثل الحمد لله.

ومعناه شفاعتى مختصة بأهل الكبائر وحيث كانت مختصة بأهل الكبائر فهى لا تكون لمشرك يعنى أن الشفاعة التى لغفران الذنوب تختص بأهل الكبائر فإن الصغائر يكفرها اجتناب الكبائر.

والكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأن الله لا يغفر ان يشرك به وإذا لم يغفر لم يدخل تحت الشفاعة لأن كل عذاب فى مقابلة ذنب ما لم يغفر ذلك الذنب لا يرفع عنه العذاب الذى فى مقابلته وإذا لم يغفر الشرك صدق أن لا تنفعه شفاعة الشافعين.

والشافعين جمع محلى باللام فيفيد العموم لجميع الشافعين فتدخل شفاعته (ص) فإنها لا تنفع الكافرين كما لا تنفعهم شفاعة غيره.

وأبو طالب قد نفعته شفاعة النبى (ص) فخفف عنه العذاب واخرج من غمرات النار إلى ضحضاح النار بشفاعة النبى (ص) فوجب ان يكون من اهل الكبائر ما عدا الكفر ووجب ان يخرج من النار لأنه صار من عصاة الأمة الذين هم فى الطبقة العليا وكل من كان كذلك يخرج ويدخل الجنة وهذا معنى قوله (ص) ارجو له من ربى كل خير.

---

(٥) رواه أحمد والبيهقى. والبخارى فى كتاب التوحيد.

وهذا الحديث اخرجه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سأل رسول الله (ص) ما ترجو لأبى طالب قال كل الخير ارجو من ربى[٦].

ولا يرجى كل الخير إلا لمؤمن ولا يجوز انه يراد بهذا ما حصل من تخفيف العذاب فإنه ليس خيرًا فضلا عن أن يكون كل الخير وإنما هو تخفيف الشر وبعض الشر أهون من بعض والخير كل الخير دخول الجنة.

واخرج تمام الرازى فى فوائده بسند يعتد به فى المناقب عن ابن عمر قال. قال رسول الله (ص) إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وأمى وعمى ابى طالب واخ لى كان فى الجاهلية.

اورده المحب الطبرى فى كتابه ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى.

واخرجه ابو نعيم وصرح بأن الأخ كان من الرضاع.

قال البرزنجى، إن النار اسم للطبقات كلها وقد اخبر (ص) ان ابا طالب اخف اهل النار عذابًا على الاطلاق وبين وجه ذلك بأن النار لا تمس إلا تحت قدميه.

فلا يجوز ان يكون كافرًا لأن فى المؤمنين من صح الأخبار عنهم فى ذنب واحد من الغلول أو العقوق أو تعذيب الهرة أو التبختر بعذاب أكبر من هذا.

فقد جاء فيمن غل من الغنيمة شملة صغيرة انها تلتهب عليه نارًا.

---

(٦) انظر طبقات ابن سعد باب ذكر ابى طالب وتاريخ دمشق لابن عساكر.

وفيمن غل بردة من صوف انه جعل له درع مثلها من نار وان من جاء بريئا من الغلول دخل الجنة.

وجاء أن عقوق الوالدين من اكبر الكبائر(٧).

وذكر فى بعض الأحاديث بعد الشرك بالله وفى القرآن «**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا**» وصح ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف(٨).

وصح ايضا لا ينظر الله يوم القيامة لعاق والديه.

وصحت أحاديث كثيرة فى شدة عذاب العاق لوالديه وانه آخر من يخرج من النار من العصاة.

وصح دخلت امراة النار فى هرة.

أى بسبب حبسها هرة.

وصحت أحاديث كثيرة فى النهى عن التبختر وشدة العذاب لمن تبخترا.

---

(٧) انظر البخارى ومسلم كتاب الأدب والبر والأنبياء واللباس والجهاد وكتب السنن الأخرى. وروى مسلم عن الرسول (ص) قوله، اجتنبوا الموبقات السبع، الشرك بالله. والسحر. وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. كتاب الإيمان باب بيان الكبائر.

(٨) روى مسلم فى كتاب الإيمان عن ارسول قوله، «الا انبأكم بأكبر الكبائر ثلاثا، الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور. باب بيان الكبائر.

ولوكان ابو طالب كافرا لكان عذاب الكفر دون عذاب الكبائر مع ان عذاب الكفر فوق عذاب الكبائر قطعًا وهذا لاشك فيه فإن الكفر أكبر الكبائر ولايغفر بخلاف بقية الكبائر ولو وجد مؤمن عاص أخف عذابًا من أبى طالب لزم الخلف فى قول الصادق (ص) حيث جعله اخف اهل النار عذابًا على الاطلاق.

فوجب أن يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين بل يكون أخف العصاة عذابًا وهذا العذاب فى مقابلة كبيرة هى ترك النطق بالشهادة إن قلنا انه لم ينطق بها وإن ترك النطق بها معصية من كبائر المعاصى وإن عذره فى ترك النطق بها لا يمنع من صحة الإيمان لكنه لا ينفى كون ذلك الترك معصية او نطق بها ولم يسمعها النبى (ص) فلم يعتد بها فكأنه ما نطق بها.

وذلك أن النبى (ص) حضر أبا طالب عند الموت وعنده ابو جهل وعبد الله بن امية المخزومى.

فقال له النبى، اى عم قل لا إله إلا الله كلمة احاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب. فلم يزالا يردانه حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا إله الا الله[٩].

وفى رواية فلما راى ابو طالب حرص رسول الله (ص) على إيمانه قال يا ابن اخى لولا مخافة قريش إنى إنما قلتها جزعًا من الموت لقلتها[١٠].

وفى رواية لما تقارب من ابى طالب الموت نظر إليه العباس فرآه يحرك شفتيه --

---

(٩) انظر طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومسلم كتاب الإيمان باب اول الإيمان قول لا إله إلا الله.

(١٠) المرجعين السابقين وانظر مسلم.

فاصغى إليه بإذنه فسمع منه الشهادة فقال للنبى (ص)، يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بها.

ولم يصرح العباس بلفظ لا إله إلا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ.

فقال رسول الله لم أسمع[١١].

وهذا معنى قولهم انه (ص) لم يعتد بها فكأنه لم ينطق بها.

والقائلون بعدم نجاته لم يأخذوا بهذا الحديث لكون العباس شهد بها حال كفره قبل ان يسلم.

وبعضهم ضعف هذا الحديث.

فعلى تسليم عدم الاعتداد بنطقه هذا وان الحديث ضعيف فنقول، هو كافر باعتبار أحكام الدنيا وأما عند الله فهو مؤمن ناج ممتلىء قلبه إيمانا بدليل ما تقدم عنه.

مما يدل على ذلك انه يمكن أن عدم نطقه بحضور ابى جهل وعبدالله بن امية حرصا منه على بقاء الحفظ للنبى (ص) وصيانته من أذيتهم له بعد وفاته لأنه كان يرى أنه إذا أظهر لهم أنه على دينهم تبقى حرمته وتعظيمه عندهم بعد وفاته فلا ينال النبى (ص) منهم أذى.

---

(١١) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ وفاة خديجة وابى طالب.

وإذا كان هذا قصده كان معذورًا فتكون إجابته لهما بما أجابهم به مداراة لهما لئلا ينفرهما خشية أن يؤذوا رسول الله (ص) بعد وفاته.

على أنه يمكن الجمع بين امتناعه ونطقه بأنه امتنع بحضورهما مداراة لهما فلما انطلقا وذهبا نطق بها وأصغى إليه العباس فسمعه ينطق بها.

ولهذا قال فى الحديث السابق ما كلمهم به - يعنى أبا جهل ومن كان معه - ولم يقل آخر ما تكلم به مطلقا فدل على أن قوله هو على ملة عبد المطلب دليل على أنه على التوحيد لأن عبدالمطلب كان على التوحيد كبقية آبائه (ص) كما حقق ذلك الجلال السيوطى وغيره فى رسائل متعددة(١٢).

فأبهم ابوطالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهرًا وهو يعلم أن عبدالمطلب كان على التوحيد.

وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله (ص) يقول إن لأبى طالب عندى رخا سأبلها ببلالها.

والقائلون بعدم نجاته يقولون أن حديث البخارى ومسلم الذى فيه كان فى غمرات من النار يدفع إيمانه وأن هذا شأن من مات على الكفر.

قال البرزنجى، قلنا ليس من شان من مات على الكفر يكون فى الضحضاح من النار بل شانه أن يكون فى الدرك الأسفل من النار فقبول الشفاعة فيه حتى صار فى

---

(١٢) رسائل السيوطى طبع بيروت ومنها رسالة فى إيمان السيدة آمنة ورسالة فى أن أبوى المصطفى فى الجنة.

ضحضاح دليل على عدم كفره إذ لا تقبل فى الكافر شفاعة الشافعين.

وقوله (ص) لولا أنا كان فى الدرك الأسفل من النار. معناه لولا ان الله هداه بى للإيمان لمات كافرًا وكان فى الدرك الأسفل من النار فهو نظير قوله (ص) فى ولد اليهودى الذى زاره فى مرضه وعرض عليه الإسلام فاسلم ومات: الحمد لله الذى انقذه بى من النار.

وحينئذ ظهر لنا معنى لطيف فى هذا الحديث الآخر الذى كان فى غمرات من النار فشفعت له فأخرج إلى ضحضاح منها وهو ان المعنى كان مشرفا على دخول الغمرات حيث أبى أن يشهد ثم تشفعت فيه فهداه الله للإيمان.

ولا ينافى هذا قوله انا لم اسمع لجواز ان الله اخبره بعد ذلك.

وقوله تعالى «**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**» [القصص: ٥٦].

وإن نزلت فى أبى طالب فنزولها فيه لا ينافى ان الله هو الذى هداه بعد ان أيس النبى منه(١٣).

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن على رضى الله عنه قال: اخبرت النبى (ص) بموت أبى طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه واره غفر الله له ورحمه ففعلت.

وإنما ترك النبى (ص) المشى فى جنازته اتقاء من شر سفهاء قريش وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ.

---

(١٣) هذا على فرض التسليم بسبب النزول.

وقد ذكر أهل السير أنه لما مات ابو طالب نالت قريش من رسول الله (ص) من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة ابى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على راسه ترابًا فدخل (ص) بيته والتراب على راسه.

فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تزيل عنه التراب وهى تبكى.

ورسول الله (ص) يقول: لا تبكى يابنية فإن الله مانع اباك[١٤].

وقال: ما نالت منى قريش شيئًا اكرهه حتى مات ابو طالب.

ويؤيد استعجال آذاهم له انهم قاموا من عند ابى طالب مغضبين حاقدين على رسول الله حيث كان يكرر على ابى طالب النطق بالشهادتين.

ولما راى رسول الله (ص) قريشًا تهجموا على اذيته قال ياعم ما اسرع ما وجدت فقدك.

وجاء فى رواية البيهقى أن عليًا رضى الله عنه لما مات ابو طالب قال: يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات.

قال: اذهب فواره. قلت: انه مات مشركًا.

قال: اذهب فواره.

---

(١٤) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢.

فلما واريته رجعت إلى النبى (ص) فقال اغتسل[١٥].

فقوله إن عمك الشيخ الضال قد مات مخالف للحديث السابق[١٦].

وأجيب بأن هذا منظور فيه إلى ظاهر حاله فى الدنيا ولعل عليا رضى الله عنه قال ذلك بحضور سفهاء المشركين مداراة لهم فلا ينافى الحديث السابق المنظور فيه إلى باطن الحال وحقيقة نفس الأمر وهو إيمانه وتصديقه.

---

(١٥) رواه ابن سعد فى الطبقات ايضا.

(١٦) تامل تعبير الشيخ الضال وعلى لسان الإمام على تجده تفوح منه رائحة السياسة.

الباب الخامس: نجاة أبى طالب

والحاصل انه يصح الاخبار عنه بالكفر بالنظر لظاهر الحال واحكام الدنيا فلا ينافى انه مؤمن باعتبار باطن الأمر وما عند الله بدليل البراهين السابقة الدالة على إيمانه وتصديقه.

قال البرزنجى : إن اعتمادنا فى نجاته على المسلك الأول كاف فى النجاة ولا نحتاج إلى غيره لكن ذكرناه زيادة تأكيد للمدعى.

وقد استدل أيضا للنجاة بقوله تعالى «**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**» الأعراف / ١٥٧ .

وقد صدقه ابو طالب ونصره بما اشتهر وعلم ونابذ قريشا بسببه بما لا ينكره أحد من نقله الأخبار فيكون من المفلحين.

وقال القائلون بعدم النجاة إنه نصره لكنه لم يتبع النور الذى انزل معه وهو الكتاب العزيز الداعى إلى التوحيد ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلها.

قال البرزنجى: اقول إن اريد اصل النجاة من النار فهو إنما يترتب على الإيمان الذى هو التصديق عند المحققين وقد حصل له ذلك.

وإن اريد الفلاح التام فلا يلزم من عدمه حصول الكفر على أنا نقول قد اتبعه وأمر باتباعه لأن الظاهر من العواطف اى فى قوله «**آمنوا به واتبعوا**» كما هو الأصل فيه أن الاتباع غير الإيمان.

وإذا كان غيره فيحمل الإيمان على التصديق وهو حاصل وإنما كان الاتباع فيما كان شرع حينئذ ولم يكن إلا التوحيد وصلة الأرحام وترك عبادة الاصنام.

كما مر عن ابى طالب انه سأل النبى (ص) بم بعثت فأخبره انه بعث بصلة الأرحام وأن يعبد الله ولا يعبد معه غيره.

ولم يكن فى ذلك الوقت فرضت الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ولا الجهاد فلم يبق إلا قول لا إله إلا الله فإن اعتبر بما يؤدى التوحيد فقد مر انه نطق بالوحدانية وبحقيقة الرسالة وتصديق النبى (ص) فى اشعاره.

وإنما طلب النبى (ص) ذلك منه عند وفاته ليحوز إيمان الوفاة وإن لم يعتد به عند الموت فتكون تلك قرائن دالة على انه مصدقا بقلبه وإنما امتنع من النطق به خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت.

والخوف من الموت عندهم عار وقد كانوا عريقين فى السيادة والمفاخرة بحيث لا يرضون ان ينسب إليهم اقل قليل مما يخالفها فلا يبعد أن يكون ذلك عندهم عظيما وذلك عذر.

وهذا بحسب ظاهر الأمر وأما فى باطن الأمر فالسبب الحقيقى فى عدم نطقه بحضور القوم المبالغة فى المحافظة على حماية النبى (ص) ونصرته لعلمه بأنه إذا نطق بذلك وعلموا انه اتبع النبى لم يعتدوا بحمايته وجاهه عندهم بل يخفرون ذمته وينتهكون حرمته ويبالغون فى ايذاء النبى.

وقد كان أبو طالب حريصا على أن يكون أمر النبى (ص) فى دعوته الخلق إلى

الله تعالى باقيًا بعد موته فلذلك كان محافظًا على بقاء حرمته فى قلوب قريش فلو نطق بالشهادتين وعلموا ذلك منه فإنه يفوت غرضه من كمال النصرة والحماية.

ثم ذكر البرزنجى، احتمالات بسبب تعذيب ابى طالب مع عصاة المؤمنين غير النطق بالشهادتين.

فقال يحتمل ذلك لترك الصلاة التى كانت فى أول الإسلام وهى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى فإن أبا طالب طلب منه صلاة تينك الصلاتين فامتنع.

وكذا التهجد الذى كان يفعله (ص) فى أول الإسلام فيحتمل أن امتناعه من ذلك كراهة أن يعلم قريش انه اتبع النبى فلا يقبلون حمايته ولا يعملون بها فيكون امتناعه من تلك الصلاة مبالغة فى التعمية على قريش ومبالغة فى حماية النبى (ص) ونصرته فيكون ذلك عذرًا لكنه لا يمنع كون الامتناع معصية يعاقب عليها.

وكان هو فى الظاهر يعلل بغير ذلك فإنه لما طلب منه صلاة تلك الصلاة قال لا تعلونى اسى. فيكون ذلك الامتناع عنادًا واستكبارًا بحسب الظاهر فيعاقب عليه وإن كان مبالغة فى العمية على قريش ليوهمهم أنه معهم وعلى دينهم.

ويحتمل أن دخوله النار كان لبعض حقوق العباد التى كانت عليه بعد البعثة.

وقد ذكر البرزنجى فى أول رسالته فى مبحث نجاة الأبوين نجاة جميع الآباء وأنهم كانوا على التوحيد.

ثم قال فى مبحث نجاة أبى طالب لم ينقل عن أحد من أعمام النبى (ص) انه قال

لم تسب آباءنا وتشتم آلهتنا وتسفه أحلامنا كما قالته بقية قريش فلو عرفوا من آبائهم ذلك لقالوا اترك ذكر آبائك بسوء.

واما عداوة ابى لهب فكانت بسبب مصاهرة ابى سفيان فإن ابا لهب كان متزوجًا اخت أبى سفيان ام جميل وسميت فى الإسلام ام قبيح وهى حمالة الحطب فكان أبو لهب يهوى هواهم.

فالظاهر ان ابا طالب كان على ملة آبائه ولو عبد ابو طالب صنمًا يلزم ان يكون اول من اشرك من هذه السلسة الطاهرة.

ولم يثبت بطريق ثابت ان ابا طالب اول من احدث الشرك وعبادة الأصنام من هذا النسب الطاهر والسلسلة المباركة.

والأصل عدم ذلك فهو تبع لعبد المطلب فى كل احواله من مكارم الأخلاق وحماية الذمار والرياسة حتى خرج من الدنيا وهو على ملة عبدالمطلب.

وهذا هو الذى اشار إليه ابو طالب لما قال لكفار قريش هو على ملة عبدالمطلب فخاطبهم بكلام محمل صحيح يخرجه عن الشك ويدخله فى زمرة الموحدين لما ستعمله من مناقب عبدالمطلب الدالة على انه كان موحدًا وعمى عليهم الأمر ليبقى جاهه وحمايته عندهم.

والحاصل إن الأحاديث التى فيها ذكر كفر ابى طالب ودخوله النار إنما هى بالنسبة للأحكام الدنيوية نظرًا لظاهر الشرع وإن دخوله النار لأجل ترك التلفظ

بالشهادتين أو لأجل ترك فرض من الفرائض أو لحق من حقوق العباد.

ولا يلزم من دخوله النار خلوده فيها وليس فى تلك الأحاديث نص على أنه يخلد فى النار وقد شفع النبى (ص) فى جعله فى ضحضاح ولو كان كافرًا ما قبلت شفاعته فيه.

وصح أن اخف أهل النار عذابًا عصاة المؤمنين وان ابا طالب اخف أهل النار عذابًا على الاطلاق فهو اخف حتى من عصاة المؤمنين.

وصح أن العصاة يخرجون من الجحيم وإن الريح تصفق أبوابها وينبت فيها الجرجير فيكون ابو طالب من المخرجين منها بل يكون اول المخرجين لأنه اخفهم عذابًا والكافرون ليسوا بمخرجين منها.

فثبت بهذه الأدلة انه وإن عذب فى النار لابد له من الخروج منها ودخول الجنة إذ لا واسطة بين الجنة والنار.

ثم قال: فإن قلت اثبت العلماء له (ص) نوعًا من الشفاعة للكفار وجعلوا ذلك خصوصية لنبينا ومثلوا ذلك بشفاعته لأبى طالب وهى التخفيف من عذابه.

قلت هذا مبنى على ان ابا طالب كافر وقد اثبتنا إيمانه فهو اول الدعوى وقد اثبتنا ان شفاعته له باعتبار معصية من الكبائر ارتكبها فهو من افراد قوله (ص) شفاعتى لأهل الكبائر.

وليس مستثنى من قوله تعالى «**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**» [المدثر: ٤٨] ولا مخصصًا

لعموم الآية فهى باقية على عمومها وليس عندهم مثال آخر يمثلون به لشفاعته لأحد من الكفار غير أبى طالب فإن كان لهم دليل آخر فليذكر حتى ينظر فيه.

نعم إن أرادوا الكفار فى ظاهر الشرع رجع الخلاف لفظيًا ولو لم نحمل الكلام على هذا التحقيق يلزمهم ايضا أن قوله تعالى «**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**» [النساء: ٤٨] مخصوص بغير أبى طالب ولا قائل به.

وقد تكلم البرزنجى على الآيات التى فى القرآن التى قيل انها نزلت فى أبى طالب.

كقوله تعالى «**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**» [التوبة: ١١٣] .

فقال إنى تتبعت الأحاديث الواردة فى سبب نزولها فوجدتها منقسمة إلى ثلاثة أوجه:

الأول: أنها نزلت فى أبى طالب.

والثانى: أنها نزلت فى والدة النبى (ص).

والثالث: انها نزلت فى آباء الناس الذين ماتوا فى الكفر كان اولادهم يستغفرون لهم.

اما الوجه الثانى: وهى أنها نزلت فى والدة النبى (ص) فهو ضعيف جدًا.

وأما الوجه الأول: وهو كونها نزلت فى أبى طالب فهو اختصار من الرواة فى الحديث فالصحيح أن سبب النزول هو الوجه الثالث.

ومما استدل به على ذلك أن الآية نزلت بالمدينة والسورة مدنية نزلت بعد تبوك وموت أبى طالب كان بمكة قبل نزول الآية بنحو اثنى عشر سنة.

ثم رأينا أن علينا رضى الله عنه روى من طرق صحيحة رواها الإمام أحمد والترمذى والطيالسى وابن ابى شيبة والنسائى وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقى أن السبب فى نزولها استغفار ناس لآبائهم المشركين.

قال على رضى الله عنه سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت، أتستغفر لأبويك وهما مشركان.

فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه. فذكرت للنبى (ص) فنزلت «**ماكان للنبى والذين آمنوا**» الآية فهذه الرواية صحيحة.

وقد وجدنا لها شاهدا برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما رواها ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما.

قال، كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت امسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا.

ثم انزل الله «**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ**» [التوبة: ١١٤] يعنى استغفر له ماكان حيا فلما مات امسك عن الاستغفار له.

وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية أصح كان العمل بها أرجح فالأرجح أنها نزلت فى استغفار اناس لآبائهم المشركين لا فى أبى طالب.

ثم ذكر أنه يمكن الجمع بينها وبين الرواية التى فيها انها نزلت فى ابى طالب مع حصول مطلوبنا لأن الرواية التى فيها انها نزلت فى ابى طالب فيها اختصار حيث قال الراوى فى آخرها لاستغفرن لك مالم إنه عنك فنزلت «**ما كان للنبى**» الآية.

ولم يقل فقال المسلمون إن رسول الله (ص) يستغفر لعمه لنستغفرن لآبائنا فاستغفروا لآبائهم فنزلت فى حقهم الآية فحيث حذفت هذه الجملة ظن الراوى أنها نزلت فى ابى طالب ولو ذكرت هذه الجملة لقيل نزلت فى استغفار إناس فى آبائهم.

وبيان ذلك إن النبى (ص) لما عرض على ابى طالب أن يقول لا إله إلا الله بحضور أبى جهل وعبدالله بن امية المخزومى فأبى ابو طالب فقال النبى: لاستغفرن لك مالم انه عنك.

فقال المسلمون: إن رسول الله يستغفر لعمه. لنستغفرن لآبائنا فاستغفروا لآبائهم فنزلت فى حقهم الآية فاختصر الراوى وحذف منه الجملة الأخيرة.

ومما يدل على هذا الجمع انا وجدنا احاديث يستفاد منها هذا الجمع.

منها: ماروواه ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال لما مرض ابو طالب اتاه النبى (ص) فعرض عليه أن يقول لا إله إلا الله فأبى ابو طالب فقال النبى لأستغفرن لك مالم انه عنك.

فقال المسلمون: هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه فاستغفروا لقراباتهم من المشركين.

فأنزل الله تعالى «**ماكان للنبى والذين آمنوا**» الآية.

ثم انزل «**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه**» الآية.

وروى ابن جرير من طريق شبل عن عمرو بن دينار أن النبى (ص) قال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا ازال استغفر لأبى طالب حتى ينهانى عنه ربى.

فقال أصحابه: لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبى لعمه.

فأنزل الله «**ماكان للنبى**» الآية.

فظهر بهذه الأخبار أن الآية نزلت فى استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين فظهر أن فى الرواية التى فيها أنها نزلت فى أبى طالب اختصارا وحذفا بسببه حصل الاشتباه حتى ظن أنها نزلت فى أبى طالب وليس الأمر كذلك.

ومما يؤيد أن هذا الجمع متعين أن السورة كلها مدنية نزلت بعد تبوك وبينها وبين موت أبى طالب نحو من اثنتى عشرة سنة.

وانضم إلى ذلك حديث على السابق الصحيح وما انضم من الشواهد وكون الآية مدنية فلا ينبغى إلغاء تلك الشواهد وترجيح أنها نزلت فى أبى طالب وإن كان مذكورا

فى البخارى ومسلم إذ قد يرجح حديث غير البخارى ومسلم لأمور تقتضى ذلك.

وقد صرحوا بذلك فى اصول الحديث فقولهم يقدم حديث البخارى ومسلم او احدهما ليس على اطلاقه.

ومما يؤيد هذا الجمع أن المراد من ابى إبراهيم عمه كما حققنا ذلك فى نجاة الأبوين[١].

واجمع على ذلك اهل الكتابين التوراة والإنجيل.

وعم إبراهيم وهو آزر كان يتخذ اصنامًا آلهة كما حكى الله عنه وكان يقول لإبراهيم «**أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم**» مريم / ٤٦ .

ولم ينقل عن ابى طالب بطريق صحيح أنه اتخذ صنمًا إلهًا او عبد حجرًا أو نهى النبى (ص) عن عبادة ربه غايته انه ترك النطق بالشهادتين أو ترك بعض الواجبات ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبى.

ومثل هذا ناج فى الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الغراء ولا بقواعد الأئمة من اهل الكلام ان يكون هو وآزر عم إبراهيم فى قرن واحد حاشا من كرم الله تعالى.

قال حسان رضى الله عنه:

---

(١) اى فى رسالة نجاة الأبوين: عبدالله وآمنة. والكلام هنا للبرزنجى.

امن يهجو رسول منكم ويمدحه وينصره سواء

فإن أبا طالب رباه صغيرًا وآواه كبيرًا ونصره ووقره وذب عنه ومدحه بقصائد غرر ورضى باتباعه.

وليس فى حديث عمرو بن دينار المار انفا دلالة على شركة فى قوله: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك. فلا ازال استغفر لأبى طالب. بل يمكن ان معناه ان إبراهيم استغفر لأبيه مع شركة فكيف لا استغفر انا لأبى طالب مع ان خطيئته دون الشرك فلا ازال استغفر له حتى ينهانى ربى ولم ينه بل نهى عن الاستغفار للمشركين لا لخصوص عمه.

فلو كان كذلك لقيل ان يستغفروا للمشركين وان يستغفر النبى لعمه ولم يقل كذلك.

ويصرح بهذا ما اورده فى الدر المنثور من طريق ابن جرير عن قتادة ان رجالا من أصحاب رسول الله (ص) سألوه عن الأستغفار لأبائهم.

فقال: والله إنى لا ستغفر لأبى كما استغفر إبراهيم لأبيه.

فانزل الله «**ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**» الآية.

فقال النبى (ص): إنى أوحى إلى كلمات قد دخلن فى اذنى ووقرن فى قلبى امرت

أن لا أستغفر لمن مات مشركا.

فكونه (ص) قال إنى لأستغفر لأبى يعنى لعمى ثم لم يقل امرت ان لا استغفر له.بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال اصحابه مع الإشارة الخفية إلى ان عمه لم يكن مشركا فدلت احاديث شفاعته (ص) على انه يشفع فيمن فى قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من إيمان وهذه الإشارة الخفية كانت تقع منه (ص) حرصا على الصدق وان لا يقع فى كلامه لفظ مخالف للواقع فإنه معصوم من الكذب وهو منه مستحيل فياتى بلفظ عام فيه إشارة خفية فيحصل بذلك جواب السائل ويرضى به وتطيب به نفسه.

ومن ذلك ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر ما قال جاء إعرابى إلى النبى (ص) فقال إن ابى كان يصل الرحم وكان وكان فاين هو ؟ .

قال فى النار.

فكانه وجد من ذلك فقال الرجل أين ابوك انت؟.

فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

فاسلم الأعرابى وقال لقد كلفنى رسول الله (ص) شططا ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. فاجمل رسول الله (ص) الجواب بقوله، حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار. جريا على عادته إذا سأله اعرابى وخاف من إفصاح الجواب له فتنته واضطرب قلبه. اجاب بجواب فيه تورية وإيهام مع تحرى الصدق.

فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة حكم ابيه لأبيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده.

لما جلبت عليه النفوس من كراهية الاستيثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فأورد له جوابًا موهما تطييبًا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة بالمعنى.

كرواية مسلم أن رجلا قال يا رسول الله اين ابى؟

قال فى النار.

فلما ولى دعاه. فقال: إن أبى وأباك فى النار[٢].

فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقانى فى شرح المواهب قال، واحسن ما يقال فيها ان الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وأن الصواب كالرواية الأولى وهو حيثما مررت بقبر كافر. فهى فى غاية الاتقان يتبين بها ان اللفظ العام وهو حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار هو الصادر منه (ص).

فكان بعض الرواة فهم ان قوله حيثما مررت بقبر كافر شامل لأبى النبى وانه كافر فغيره ورواه بالمعنى على حسب فهمه.

---

(٢) كتاب الإيمان باب بيان ان من مات على الكفر فهو فى النار.

وقال - أي الزرقاني - إن أبي وأباك في النار وما تقدم من أن آزر عم إبراهيم وليس بأبيه هو القول الصحيح.

قال العلامة ابن حجر الهيتمي إن أهل الكتابين اجمعوا على أن آزر لم يكن أبا لإبراهيم حقيقة وإنما كان عمه وسماه الله في القرآن أبا لأن العرب تسمي العم أبا.

وجزم بذلك الفخر الرازي وقال جاء في القرآن تسمية العم أبا. «**إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**» [البقرة: ١٣٣] مع أن الكلام كان مع أولاد يعقوب وإسماعيل عم يعقوب(٣).

وقد سبق الرازي إلى ذلك جماعة من السلف منهم ابن عباس ومجاهد وابن جرير والسدي قالوا ليس آزر أبا إبراهيم وإنما هو عمه لأن إبراهيم ابوه تارخ.

وممن وافق الرازي الماوردي من أئمة الشافعية.

وقال في قوله تعالى «**وتقلبك في الساجدين**» كما قال الرازي ان المراد تقلبه وتنقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية وهذا وجه من وجوه تفسير الآية وليس مراده الحصر في هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الأولى بالقبول.

فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «**وتقلبك في الساجدين**» قال من نبي إلى نبي ومن نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبيا فمفسر تقلبه في الساجدين بتنقله في أصلاب الأنبياء ولو مع الوسائط.

---

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي سورة البقرة آية رقم ١٣٣ وانظر اسرار التنزيل.

وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية إبراهيم أوضح ليشمل غير الأنبياء.

فقد أخرج ابن المنذر عن ابن جريج فى قوله تعالى «رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى» [ال» *] قال فلا تزال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد فى قوله تعالى «**وجعلها كلمة باقية فى عقبه**» الزخرف / ٢٨ أنها لا إله إلا الله باقية فى عقب إبراهيم عليه السلام.

وعن قتادة فى الآية هى شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده.

وقد صح من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فمن ذلك ما أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضى الله عنه قال لا يزال على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها.

وأخرج الإمام أحمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض.

وأخرج البخارى حديث بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من

القرن الذى كنت فيه والآية هى شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال فى ذريته من يقولها من بعده .

وقد صح من طرق صحيحة أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين.

فمن ذلك ما اخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضى الله عنه قال لا يزال على وجه الأرض سبعة مسلمين فمن ذلك ما اخرجه عبدالرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط مسلمون فصاعدا ولولا لهلكت الأرض ومن عليها.

واخرج احمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن اهل الأرض.

واخرج البخارى حديث بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه فإذا قرنت بين هاتين المقدمتين اعلى بعثت من خير قرون بنى آدم ..الخ. وان الأرض لم تخل من سبعة مسلمين ..الخ. انتهى ما قاله الإمام الرازى من أن آباءه كلهم موحدون لأنه إن كان كل جد من اجداده من جملة السبعة المذكورين فى زمانهم ففيه المدعى.

وإن كانوا غيرهم فإما ان يكونوا على الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام فهو المدعى ايضا.

وإما أن يكونوا على الشرك فيلزم احد امرين:

إما إن يكون غيرهم خيرًا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح من انهم من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا.

وإما أن يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع.

قال تعالى «**ولعبد مؤمن خير من مشرك**» فثبت أنهم على التوحيد فيكونوا خير أهل الأرض فى زمانهم.

وقد ذكر البرزنجى والسيوطى وغيرهم ممن الفوا فى نجاة آباء النبى (ص) وامهاتهم وفى انهم كلهم على التوحيد دلائل وبراهين على ذلك وافردوا كل احد من الآباء بترجمة.

وقد صح فى احاديث كثيرة انه (ص) قال: لم ازل انقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات.

وفى رواية: لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة.

وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى «**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**» [الشعراء، ٢١٩].

وقوله (ص) من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات فآباء النبى وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر.

وإلى هذا اشار صاحب الهمزية حيث قال:

لم تزل فى ضمائر الكون تختار لـــك الأمهـــات والآبـــاء

وقال رسول الله (ص) ما ولدت من بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعنى الأمم كابرًا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة(٤).

وحيث ان ابا طالب قال هو على ملة عبدالمطلب فلنذكر بعض ما ذكروه فى عبدالمطلب لتعلم علمًا يقينًا انه كان على التوحيد.

فما ذكروه فى عبدالمطلب انه نشأ على أكمل الصفات وانتهت إليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور.

وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبدالمطلب فى ذلك؟

ففكر وقال: والله إن وراء هذه الدار دارًا يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسىء بإساءته اى فالظلوم شأنه ان تصيبه عقوبة فإن اخرج من الدنيا لم تصبه عقوبة فهى معدة له فى الآخرة(٥).

---

(٤) روى ابو نعيم فى دلائل النبوة عن الرسول (ص) قوله: لم يلتق ابواى قط فى سفاح ولم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صافيًا مهذبًا لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما.
ويروى ابن سعد فى الطبقات جـ ١/ عن الرسول قوله: والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما.
وانظر دلائل النبوة للبيهقى.

(٥) الملل والنحل للشهرستانى هامش الفصل فى الملل والنحل جـ ٣ /٢٢٥.

فهذا إيمان منه باليوم الآخر علمه بالفراسة الصادقة وهى نور الهى يقع فى القلب وكان عبدالمطلب يرفض عبادة الأصنام ويعترف بوحدانية الله تعالى ولم تكن شريعة مشروعة فى زمنه فلهذا كانت عبادته التفكر فى آلاء الله ومصنوعاته وصلة الأرحام واصطناع المعروف والاتصاف بمكارم الأخلاق.

وكان يختلى كثيرًا بغار حراء ليجتمع فكره وقلبه فى الاستغراق فى التفكر فى صفات الله وافعاله الدالة عليه وورد عنه فى السنة أشياء كان متصفًا بها ويأمر الناس بفعلها.

منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريانا.

وهو أول من جعل الدية مائة من الإبل فجاء الشرع مؤيدا ذلك ومقرا.

وكان لطيب ريحه يفوح منه رائحة المسك وكان نور النبى يضىء فى غرته.

وفيه يقول القائل:

علا شيبة الحمد الذى كان وجهه يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأتى عبدالمطلب فتستسقى به فيسقون ولما جاء أصحاب الفيل ليهدموا الكعبة هلكوا بدعائه عند البيت المعظم.

ومما نقل عنه فى ذلك اليوم:

لاهـم إن العبد يمنـع رحله فامنع رحالـك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال أيضًا:

يارب لا ارجو لهـم سواكا يـارب فامنـع عنهم حماكا
إن عـدوّ البيت قـد عاداكا فامنعهمو ان يخربوا قراكا

واخذ اصحاب الفيل له ذودا من الإبل فذهب إلى ابرهة رئيسهم يسأله اطلاق إبله فعظمه واجلسه معه على سريره فلما سأله اطلاق إبله.

قال له ابرهة سقطت من عينى جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك فالهاك عنه ذود اخذ منك.

فقال أنا رب الإبل وللبيت رب يمنعه.

وقال يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت ربًا يحميه فأرسل الله عليهم طيرًا ابابيل فاهلكهم(٦).

وكان لعبدالمطلب إبل كثيرة يجمعها فى الموسم ويسقى لبنها بالعسل فى حوض من آدم عند زمزم ويشترى الزبيب فينقعه بماء زمزم ويسقيه الحاج.

ولما توفى عبدالمطلب قام بالسقاية ابو طالب ثم بعده العباس(٧).

---

(٦) انظر قصة اصحاب الفيل فى سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وكتب التاريخ.

(٧) انظر المراجع السابقة باب وفاة ابو طالب.

ومن كلام عبدالمطلب:

يارب انت الملك المحمود وانت ربى الملك المعبود
من عندك الطارف والتليد

وكان عبدالمطلب يكرم النبى (ص) ويعظمه وهو صغير ويقول إن لابنى هذا لشانا عظيمًا[٨].

وقد سمع من الكهان والرهبان شيئًا كثيرًا فى شأن النبى قبل ولادته وبعدها[٩].

وكان عبدالمطلب رئيس قريش معظمًا فيها وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد أن يجلس على فراشه ولا أن يطأه بقدمه.

وكان النبى (ص) وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبدالمطلب وربما جاء قبل جده عبدالمطلب فجلس على فراشه فإذا أراد احد من أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبدالمطلب ويقول دعوه إن له لشانا ثم يجلس على فراشه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع[١٠].

وتوفى عبدالمطلب وعمر النبى ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبى طالب وكان شقيق أبيه عبدالله وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم.

---

(٨) ابن هشام وابن سعد باب ذكر عبدالمطلب.
(٩) المرجعين السابقين وانظر كتب التاريخ.
(١٠) المرجعين السابقين.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت ابن العباس يقول كان لعبد المطلب مفرش فى الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون الفرش فجاء رسول الله يومًا وهو غلام فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى.

فقال عبدالمطلب : ما لابنى يبكى.

قالوا : أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه.

فقال عبدالمطلب : دعوا ابنى يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وأرجو ان يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده.

فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبدالمطلب أو غاب[١١].

وفى رواية : دعوا ابنى أنه ليؤنس ملكا.

وفى رواية : فإنه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شان.

وكان عبدالمطلب من علماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرمًا للخمر على نفسه وهو أول من تحنث بغار حراء والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد.

وكان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلى عن

---

(١١) المرجعين السابقين.

الناس يتفكر فى جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤس الجبال.

وكان يقال له مطعم الطير.

ويقال له الفياض. ولد وفى راسه شيبة فقيل له شيبة الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له.

وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لأنه كان مفزع قريش فى النوائب وملجاهم فى الأمور وشريفهم وسيدهم كمالاً وفعلاً عاش مائة واربعين سنة وله مناقب كثيرة.

منها حفر بئر زمزم وكانت درست بعد إسماعيل فامر فى المنام بحفرها وأرشد فى المنام إلى محلها وقصة ذلك طويلة مذكورة فى كتب السير(١٢).

وفى السيرة الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله (ص) يبعث جدى عبدالمطلب يوم القيامة فى زى الملوك وابهة الإشراف.

قال البرزنجى: ويروى أن عبدالمطلب يعطى نور الأنبياء وجمال الملوك ويبعث أمة وحده. قال: لأنه كان على التوحيد.

وذلك كمن اخبر عنه النبى (ص) من أمثاله كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة ابن --

---

(١٢) انظر المرجعين السابقين قصة حفر زمزم.

نوفل انه يبعث امة وحده.

ومن يبعث امة وحده لا يبعد انه يعطى نور الأنبياء لأنه مستقل لا تابع.

واما كونه يعطى جمال الملوك فلأنه كان سيد قريش فى زمانه وهو ملحق بالملوك الذين عدلوا وما ظلموا.

وهذا له شاهد فيما رواه البيهقى وابو نعيم عن كعب الأحبار انه قال فى التوارة فى صفة امة محمد (ص) انهم فى القيامة يعطون نور الأنبياء[١٣].

وبالجملة فمن وقف على ماذكره العلماء فى ترجمته علم علما يقينا انه كان على التوحيد وهكذا بقية آبائه إلى آدم عليه السلام.

وبهذا يعلم أن قول ابى طالب هو على ملة عبدالمطلب إشارة إلى أنه على التوحيد ومكارم الأخلاق ولو لم يصدر من أبى طالب من الإشارات الدالة على التوحيد إلا قوله وهو على ملة عبدالمطلب لكان ذلك كافيا.

فلله دره من لبيب حاذق وهذا المسلك الذى سلكه العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى فى نجاة ابى طالب لم يسبقه إليه احد فجزاه الله أفضل الجزاء ومسلكه هذا الذى سلكه يرتضيه كل من كان متصفا بالإنصاف من اهل الإيمان لأنه ليس فيه إبطال شىء من النصوص ولا تضعيف لها وغاية ما فيه إنه حملها على معان مستحسنة يزول بها الأشكال ويرتفع الجدال ويحصل بذلك قرة عين النبى (ص) والسلامة من الوقوع فى تنقيص أبى طالب او بغضه فإن ذلك يؤذى النبى.

---

(١٣) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم وللبيهقى.

وقد قال الله تعالى «**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**» [الأحزاب: ٥٧] .

وقال تعالى «**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**».

وقد ذكر أحمد بن الحسين الموصلى الحنفى المشهور بابن وحشى فى شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤هـ إن بغض ابى طالب كفر ونص على ذلك ايضا من أئمة المالكية العلامة على الأجهورى فى فتاويه والتلمسانى فى حاشيته على الشفاء فقال عند ذكر ابى طالب لا ينبغى أن يذكر إلا بحماية النبى (ص) لأنه حماه ونصره بقوله وفعله وفى ذكره بمكروه اذية للنبى وكفر والكافر يقتل.

وقال ابو الطاهر من ابغض ابا طالب فهو كافر.

والحاصل ان إيذاء النبى (ص) كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل وإن تاب.

وروى الطبرانى والبيهقى أن ابنة ابى لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة.

فقيل لها لا تغنى عنك هجرتك وانت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبى (ص) فاشتد غضبه ثم قام على المنبر.

فقال ما بال اقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى فمن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

واخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه ان رسول الله (ص) قال من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

فبغض ابى طالب والتكلم فيه يؤذى رسول الله (ص) ويؤذى اولاده الموجودين فى كل عصر.

وقد قال (ص) لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات.

ومما يؤيد هذا التحقيق الذى حققه العلامة البرزنجى فى نجاة ابى طالب ان كثيرا من العلماء المحققين وكثيرا من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة ابى طالب منهم القرطبى والسبكى والشعرانى وخلائق كثيرون وقالوا هذا الذى نعتقده وندين الله به وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذى سلكه البرزنجى فقد اتفق معهم على القول بنجاته.

فقول هؤلاء الأئمة بنجاته اسلم للعبد عند الله تعالى لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التى اثبتها العلامة البرزنجى.

ومما استدل به القائلون بعدم نجاته أن عم النبى (ص) لم يورث منه جعفرا ولا عليا لاختلاف الدين.

وأجاب البرزنجى عن ذلك بوجوه.

منها: ان الميراث فى وقت موت أبى طالب لم يفرض وإنما كان الأمر بالوصية فقد يكون أبو طالب أوصى بماله لعقيل فإنه كان يحبه كثيرا ويحتمل على تسليم أن عقيلا أخذ ذلك ميراثا أن النبى (ص) إنما سكت معاملة لأبى طالب وعقيل بحسب ظاهر الأمر من الكفر بحسب أحكام الدنيا.

قيل إن مما نزل فى ابى طالب «**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**» [البقرة: ١١٩] وهذا القول ضعيف جدا كالقول بأنها نزلت فى أبوى النبى (ص) فإن ذلك ضعيف أيضا. بل قيل إن ذلك باطل لا أصل له والآية إنما نزلت فى اليهود.

قال ابو حيان فى البحر: بسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك اى فإن الجميع نزل فى اليهود بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الآيات وذهاب جزالتها كما اشار إلى ذلك المولى ابو السعود فى تفسيره[١٤].

وقد ذكر البرزنجى احاديث كثيرة تدل على نجاة ابى طالب ثم قال وإن كان بعضها ضعيفا لكن لكثرتها يقوى بعضها بعضا لا سيما وأكثرها صحيح لا ضعف فيه.

فمن الصحيح ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن على رضى الله عنه قال أخبرت رسول الله (ص) بموت أبى طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه.

---

(١٤) تفسير البحر المحيط سورة البقرة آية رقم ١١٩. وانظر تفسير أبو السعود.

وفى السيرة الحلبية أن هذا الحديث اخرجه ايضا ابو داود والنسائى وابن الجارود وابن خزيمة عن على رضى الله عنه قال لما مات ابو طالب اخبرت النبى (ص) بموته فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه ووارة غفر الله له ورحمه.

ثم قال البرزنجى: على أن اعتمادنا على المسلك الأول الكافى فى النجاة ولا نحتاج إلى هذا ولكنه زيادة تأكيد فى المدعى.

ومن الأحاديث التى ذكرها فى الشفاعة ما رواه احمد والطبرانى والبزار عن معاذ ابن جبل وأبى موسى قالا: قال رسول الله (ص): إن ربى خيرنى بين ان يدخل نصف امتى الجنة أو شفاعة فاخترت لهم الشفاعة وعلمت انها اوسع لهم وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئا.

وروى احمد وابن أبى شيبة والطبرانى عن ابى موسى قال : قال رسول الله (ص): إنى اخرت شفاعتى وجعلتها لمن مات من امتى لا يشرك بالله شيئا.

وفى رواية لأبى يعلى وأبى نعيم عن ابى ذر رضى الله عنه - وهى نائلة منهم إن شاء الله تعالى - من لم يشرك بالله شيئا.

وفى رواية عن عوف بن مالك عن رسول الله (ص) سألت الله ان لا يلقاه عبد من امتى يوحده إلا ادخله الله الجنة.

وأخرج مسلم عن عبدالله بن عمر إن رسول الله (ص) تلا قول إبراهيم «**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**» [إبراهيم، ٣٦].

وقول عيسى «**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**» المائدة/١١٨ فرفع يديه وقال أمتى أمتى ثم بكى.

فقال الله، يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك(١٥).

وروى البزار والطبرانى عن على كرم الله وجهه عن رسول الله (ص) فقال، اشفع لامتى حتى يناديني ربى أرضيت يا محمد فاقول أى رب رضيت.

وروى الطبرانى فى الأوسط بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال، قال رسول الله (ص)، إنى أخرت شفاعتى لأمتى وهى بالغة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا.

قال البرزنجى فانظر هذه الأحاديث فإنها كلها تدل على أن الشفاعة لا تنال مشركا وقد نالت الشفاعة أبا طالب بنص الحديث الصحيح ونعلم قطعا أنه كان يصدق بنبوة النبى (ص) وصدقه وحقية دينه وكفى بالظاهر دليلا.

فلابد من القول بنجاته ولا منافاة بينها وبين الأحاديث التى فيها ذكر كفره ودخوله النار لما تقدم أن الحكم بكفره إنما هو بالنسبة للأحكام الدنيوية نظرا لظاهر الشرع وأن دخوله النار لأجل ترك فرض من الفرائض وهذا لا يلزم منه خلوده فى النار وليس هناك نص على انه مخلد فى النار مع ما مر فى بيان سبب نزول النهى عن ----

---

(١٥) كتاب الإيمان. باب دعاء النبى (ص) لأمته وبكائه.

الاستغفار من الجمع ولله الحمد.

وتقدم إن قوله تعالى «**إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء**» لا يمنع من إيمانه فإنها إنما دلت على أنك لا تهديه ولكن الله يهدى من يشاء فنقول أن الله هداه.

وتقدم ان العباس لما اخبر النبى (ص) بأنه أتى بالشهادة قال له لم أسمعه إنما قال له ذلك نظرا إلى ظاهر الحال وذلك لا يمنع ان الله اطلعه على إيمانه ولذلك قال كل الخير أرجو من ربى.

وقد صح ان العباس سأل رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله اترجو لأبى طالب خيرا. قال: كل الخير ارجو من ربى.

وهذا الحديث رواه ابن سعد فى الطبقات بسند صحيح ورجاؤه (ص) محقق ولا يرجو كل الخير إلا لمؤمن ولا يجوز أن يراد بهذا ما حصل له من تخفيف العذاب فإنه ليس خيرا فضلاً عن أن يكون كل الخير وإنما تخفيف العذاب تخفيف الشر وبعض الشر أهون من بعض وحصول كل الخير إنما يكون بدخول الجنة.

قال بعض العارفين انه ثبت عند أهل الكشف إيمان أبى طالب ثبوتا لا شك فيه ولعل السبب فى أن الله ابهم أمره بحسب ظاهر الشرع لتطييب قلوب أصحاب النبى (ص) الذين كان آباؤهم كفارا لأنه لو صرح لهم بإيمان ابى طالب وهم يرونه كافرا بحسب الظاهر مثل آبائهم تنفر قلوبهم وتنوغ صدورهم ويقولون إنه لا فرق بينه وبين آبائنا.

فكيف يكون ناجيا وهم معذبون؟

وهذا يكون منهم بحسب ما تقتضيه الطبيعة البشرية فإنها تنفر من استئثار غيرها عليها كما تقدم نظير ذلك فى الذى قال ابن ابى.

ولو اظهر ابو طالب إيمانه لفات ما قصده من نصرة النبى (ص) وحمايته ثم فى ذلك لله تعالى حكم كثيرة لا اطلاع لنا عليها فيجب علينا التسليم لأمر الله تعالى والانقياد لحكمه والرضا به وحفظ الأدب مع رسول الله (ص) واهل بيته وتحسين الظن بهم حتى لا يطالبنا احد منهم بظلامة ونسأل الله تعالى التوفيق.

هذا خلاصة ما لخصته من الخاتمة التى ذيل بها العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجى رسالته التى ألفها فى نجاة الأبوين مع ما ضممته إلى ذلك مما وجدته فى المواهب والسيرة الحلبية وغيرهما من الكتب المعتمدة المرضية.

قال العلامة البرزنجى فى آخر الخاتمة التى هى آخر رسالته لما اكملت تسويده فى اوائل شهر الله الحرام ذى القعدة من شهور سنة الف وثمانون بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة وازكى السلام فى منزلى بالزقاق المشهور بزقاق البدور وهو داخل السور أرسلت به إلى بعض خدام الحرم الشريف ممن له قدم فى طريق الله تعالى وله اذكار واوراد وله سلوك وهو متوسم بالصلاح ليدخله الحجرة الشريفة تحت أستار كسوة القبر المعظم فإنه هديته (ص).

فإن وقع فى حيز القبول بيضته وإلا ضيعته قبل ان تنتشر منه النسخ، فادخله

تحت واستمر فيه ليلتين ثم رده إلى وبشرنى بانه وقع فى حيز القبول من حضرة الرسول وشفعه فى جميع الفروع فحمدت الله على ذلك وبيضته بعون الملك المالك فالحمد لله على ما انعم والهم ثم له الحمد على انه كما بدأ نمم حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه حمدا يوفى نعمه ويكافىء مزيده كما ينبغى لجلال وجهه وعظمة سلطانه حمدا يستوجب المزيد الموعود بقوله تعالى «**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**» [إبراهيم، ٧].

وأكمل الصلاة والتسليم على المبعوث بالقرآن الحكيم والموصوف بالخلق العظيم المتعوت بأنه بالمؤمنين رؤف رحيم صلاة وسلامًا تجازيان عناه وتوازيان غناه وعلى آله وأبائه وأمهاته وأزواجه وذرياته وورثة علومه وعباداته وغفر الله لنا ولوالدينا وإخواننا قلبًا وصلبًا ودينا ولجميع المسلمين والمسلمات.

«**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم**» الحشر / ١٠. «**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» [يونس: ١٠].

هذا آخر ما فى رسالة السيد محمد بن رسول البرزنجى المؤلفة فى نجاة الأبوين المذيلة بالخاتمة التى فى نجاة ابى طالب عم النبى (ص).

(قال المؤلف رحمه الله تعالى) وكان الفراغ من تسويد ذلك يوم السبت الثامن عشر من شهر شعبان المبارك سنة الف وثلاثمائة وثلاثة من هجرة النبى (ص).

ملاحـــق الكتـــاب

ملحق (١)

سؤال للشريف عبدالمطلب رحمه الله تعالى سنة ١٢٩٩هـ

ما قولكم أيها العلماء الأعلام ومصابيح الظلام قمع الله بكم طغام اللئام ولئام الطغام فيمن انتدب ممن يزعم انه من طلبة العلم لهدم قبر ابى طالب عم النبى (ص) زاعمًا انه من المناكر المجمع عليها فى بلد الله الحرام وكتب للحكام يدور به على العلماء وخلافهم من الأنام يحرضهم على أن يساعدوه على هدم قبر هذا الكافر بهذا اللفظ الشنيع ونحوه من الكلام غير مبال إلى ما يترتب على ذلك من بعث فتنة نائمة لعن الله من ايقظها.

فإن كثيرًا من اهل السنة والجماعة من بنى هاشم وغيرهم يعتقدون نجاته تبعًا لما جاء فى ذلك ولما نقله الجهابذة الفخام الحقيقون بأن يتخذوا حجة للخلق لدى الملا العلام وهم السبكى والقرطبى والشعرانى رحمهم الله تعالى على الدوام أن الله احيا ابا طالب وآمن بالمصطفى ومات مسلمًا.

قال الإمام المحقق السحيمى بعد نقله ذلك وهذا هو الذى اعتقده والقى الله به فيكون هذا العذاب حصل له قبل إحيائه ويكون المراد بالقيامة قيامته وهى خروج روحه من جسده فياهل ترى هؤلاء العلماء جهلوا ما ورد فى حق ابى طالب من نصوص الشريعة فلم يسع هذا المنتدب المبغض السكوت تقليدًا لقدحه فى ادعائه الإجماع الذى زعمه مع ما فيه من اذية رسول الله (ص) وآله ومحبيه وهل جهله بذلك يكون عذرًا له فيما تطلبه مما ليس يعنيه؟

وهل يجب على الحكام ايدهم الله تعالى زجر هذا المبغض بما يليق به ويكون زاجرا له ولغيره عن الحركات الباعثة للفتن وتنافر قلوب المسلمين؟

فإن القائلين بنجاته اهل شوكة وشكيمة فى هذا البلد الأمين أفيدونا نصر الله بكم الإسلام وأنار بمصابيحكم حالك الظلام.

الجواب: والحمد لله رب العالمين رب زدنى علما قال بعض المفسرين فى قوله تعالى «**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى**» الشورى / ٢٣ اى على تبليغ الرسالة اى ان تحفظوا قرابتى وتودونى وتصلوا رحمى وذلك إنه لم يكن حى من قريش إلا وفيهم له (ص) قرابة فكأنه يقول إن لم تؤمنوا بى فاحفظوا قرابتى فيكم ولا تؤذونى أ هـ.

وقال تبارك وتعالى «**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهيناً**».

وفى شرح الشهاب لابن وحشى قال ابو الطاهر من ابغض ابا طالب فهو كافر بالله عز وجل.

وفى معروضات المفتى ابى السعود سؤال طالب علم ذكر عنده حديث نبوى. فقال: أكل أحاديث النبى (ص) صدق؟

فاجاب بانه يكفر اولا بسبب الاستفهام الإنكارى.

وثانيا بإلحاقه الشين بالنبى (ص) الدر المختار إذا تكلم بكلمة الكفر ولم يدر انها كفر.

قال بعضهم لا يكون كفرًا ويعذر بالجهل.

وقال بعضهم يصير كافرًا بذلك تنقيح.

وقال فى المختار ينبغى أن يحفظ اللسان عما يجب الاحتراز عنه لقوله (ص)، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت.

وعنه (ص) البلاء موكل بالمنطق اهـ.

وعليه فيلزم الولاة أيدهم الله تعالى أجرًا ما يستحقه على ماصدر منه مما يسد باب الجراءة ويزجر اهل الجراءة والفساد كما قال تعالى «**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» [المائدة: ٣٣] إلى آخر الآية والله سبحانه وتعالى أعلم.

ملحق (٢)

فتوى احمد بن عبدالله ميرغني مفتى الأحناف

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والسالكين نهجهم بعده اللهم اسالك هداية للصواب.

اعلم رحمك الله تعالى ان أبا طالب عم النبى (ص) ادعى إناس أن أهل السنة والجماعة اتفقوا على عدم نجاته وتمسكوا فى ذلك بظواهر من الكتاب والسنة.

ودعواهم اتفاق اهل السنة على عدم نجاته دعوى غير صحيحة فقد وجد كثير من اهل السنة يقولون بنجاته منهم الإمام القرطبى والإمام السبكى والإمام الشعرانى كما ذكره السائل فى سؤاله فقد راجعت ما ذكره فى شرح العلامة السحيمى على شرح الشيخ عبدالسلام اللقانى على منظومة والده المسماة بجوهرة التوحيد فى بحث الشفاعة عند قول الناظم وواجب شفاعة المشفع فوجدته نقل عن القرطبى والسبكى والشعرانى أن الله احيا أبا طالب وآمن بالمصطفى (ص) ثم مات مسلمًا.

قال العلامة السحيمى وهذا الذى اعتقده وألقى الله عليه.

وذكر السحيمى قبيل قول الناظم ومنجز لمن أراد وعده أن ابن سعد وابن عساكر رويا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل رسول الله (ص) ما ترجو لأبى طالب قال كل الخير أرجو من ربى.

والإمام القرطبى والسبكى والشعرانى كل منهم من أكابر أهل السنة يحتج بقوله

وكذا العلامة السحيمى فبطلت دعوى من ادعى أن اهل السنة متفقون على عدم نجاته.

وثبت انه يوجد من أهل السنة من يقول بنجاته وحيث وجد الاختلاف فاللائق الاحتياط وأقل المراتب التفويض إلى الله تعالى والسكوت والتوقف وعدم الخوض فى ذلك والاقتصار على قدر الضرورة فى ذكر الأحاديث الواردة فيه مع غاية الأدب والخوف لأن الاحتياط من الورع.

فقد قال (ص) دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

وقال (ص) اليس وقد قيل لما جاءه عقبة بن الحارث فقال: يا رسول الله تزوجت امراة فجاءتنا امراة سوداء. فقالت: قد أرضعتكما وهى كاذبة.

فقال (ص): كيف تصنع بها وقد زعمت انها ارضعتكما دعها عنك. اى طلقها.

فراجعت النبى (ص) وقلت يا رسول الله إنها امراة سوداء اى فلا يقبل قولها.

فقال: اليس وقد قيل. فارشده (ص) إلى طريق الورع والاحتياط وإن لم تقبل شهادة تلك المرأة.

وحيث قال جماعة من اهل السنة بإحياء ابى طالب وإيمانه ونجاته فالاحتياط عدم التعرض له بتنقيص لأن التعرض له لاسيما إذا كان بأفحش العبارات يؤذى النبى (ص) لأن ابا طالب ربى النبى وكان يحبه ويذب عنه لما بعث.

ويؤذى أيضا اقاربه (ص) الأحياء والأموات.

وقد قال تعالى «**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى**».

وقد اخرج الديلمى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (ص) قال اشتد غضب الله على من آذانى فى قرابتى.

وروى الطبرانى والبيهقى أن بنت أبى لهب واسمها سبيعة وقيل درة قدمت المدينة مسلمة مهاجرة فقيل لها لا تغنى عنك هجرتك وأنت بنت حطب النار فتأذت من ذلك فذكرته للنبى (ص) فاشتد غضبه ثم قام على المنبر فقال: ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى من آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

واخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى.

وروى الطبرانى والإمام احمد والترمذى عن المغيرة ابن شعبة عن النبى (ص) أنه قال لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات.

ولاشك أن النطق بقبيح القول فى حق أبى طالب والتشدق به فى مجالس الخاصة والعامة وسفهاء الناس يؤذى أولاد على رضى الله عنه الموجودين الآن بل ويؤذى أمواتهم فى قبورهم.

ويؤذى النبى (ص).

فقد قال تعالى «**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**».

وقال تعالى «**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**».

وهذا هو ملحظ من قال بكفر مبغض أبى طالب لأن فيه إيذاء للنبى وإيذاؤه (ص) كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل فاعله إن لم يتب وعندهم أيضا يقتل وإن تاب.

وسأذكر لك نبذة من أخبار أبى طالب تعلم بها محبته للنبى (ص) وتعلم محبة النبى (ص) له وأنه يؤذيه بغضه وتعلم بها ان ماذهب إليه القرطبى والسبكى والشعرانى والسحيمى له وجه وجيه.

فمن أخبار أبى طالب انه ربى النبى (ص) أحسن التربية وكان يقدمه فى البر على أولاده وشرح ذلك يطول ثم لما بعثه الله تعالى تعرض قريش لإيذائه فمنعهم أبو طالب.

وقال لهم إن ابن أخى فى حمايتى فلم يستطيعوا أن يردوا حمايته فصار (ص) يدعو الناس إلى الله جهرا فلما فشت دعوته (ص) شق الأمر عليهم فاجتمعوا وجاءوا

إلى أبى طالب بعمارة بن الوليد.

وقالوا له خذ هذا بدل محمد ويكون كالابن لك واعطنا محمدًا لنقتله.

فقال ما انصفتمونى يا معشر قريش آخذ ابنكم اربيه واعطيكم ابنى تقتلونه ثم قال:

والله لـن يصلـوا إليـك بجمعهـم ... حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنـى وعلمت إنك ناصحى[1] ... ولقـد دعوت وكنت ثم امينـا
لـولا الملامـة أو حـذار مسبـة ... لوجدتنـى سمحًا بذاك مبينا

ولما تزوج النبى (ص) خديجة بنت خويلد رضى الله عنها خطب ابو طالب وحضر ابو بكر ورؤساء مضر.

فـقـال ابو طالب فى خطبـتـه الحـمـد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرمًا آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله

---

(١) كتب الشنوانى على شرح الفاكهى عند قول ابى طالب ودعوتنى وعلمت الخ ما نصه هو مات كافرا وهو عم النبى (ص) بخلاف أبويه (ص) فانهما ماتا مؤمنين لكن نقل الشيخ البراوى عن الشيخ السجينى عن غيره أن الله احيا ابا طالب وآمن به واماته ثانيا مؤمنا ودخل الجنة وقال البراوى من كان يحب النبى (ص) وآله واصحابه واتباعه فليعتقد ذلك ونقل ما تقدم من إحيائه واماتته ثانيا مسلما عن أربعة عشر صحابيا وهو من خصوصيات ابى طالب وهذا لا ينافى الأخبار الواردة بموته كافرا لأنا نقول إنه مات ثم احيى كما مر ا هـ.

لا يوزن برجل إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فإن كان فى المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم.

فلما اتم ابو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة فقال:

الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل لذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله على كذا ثم سكت.

فقال ابو طالب: قد احببت ان يشركك عمها وهو عمر ابن أسد.

فقال عمها: اشهدوا يا معشر قريش إنى قد انكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد. فقبل النبى (ص) النكاح.

فتأمل خطبة ابى طالب وذكره شأن النبى وتفرسه فيه كل خير وكان ذلك قبل مبعث النبى بخمس عشرة سنة.

واخرج البيهقى عن انس قال جاء اعرابى إلى النبى (ص) وشكا الجدب والقحط وانشد ابياتا فقام رسول الله حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ودعا فما ردّ يديه حتى التقت السماء بأبراقها ثم بعد ذلك جاءوا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه.

ثم قال لله درّ أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه. من ينشدنا قوله؟ فقال على رضى الله عنه وكرم الله وجهه كأنك تريد قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال (ص): أجل.

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب قالها حين كان يذب قريشا عن النبى منها قوله:

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل
لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد واحببته داب المحب المواصل
فمن مثله فى الناس اى مؤمل إذ قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش يوالى إلها ليس عنه بغافل

ومنها قوله:

وقد علموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
واصبح فينا أحمد فى ارومة تقصر عنها سورة المتطاول
حديث بنفسى دونه حميته ودافعت عنه بالذى والكلاكل

والقصيدة طويلة وله اشعار كثيرة غيرها فى مدح النبى (ص) ولما حضرت الوفاة

ابا طالب جمع اشراف قريش واوصاهم بوصية تدل على كمال محبته للنبي (ص) ومعرفته صدقه.

فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدام الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبًا إلا احرزتموه ولا شرفًا إلا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الرب وانى اوصيكم بتعظيم هذه البنية يعني الكعبة فإن فيها مرضاة للرب وقوامًا للمعاش وثباتًا للوطأة وصلوا ارحامكم فإن في صلة الرحم منسأة اي فسحة في الأجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعي واعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الأمانة فإن فيها محبة في الخاص ومكرمة في العام واوصيكم بمحمد خيرًا فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأني انظر إلى صعاليك العرب واهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابًا وضعفاؤها أربابا وإذا اعظمهم عليه احوجهم إليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها.

يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة وفي رواية دونكم ابن ابيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله إلا رشد ولا ياخذ احد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تاخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي.

وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا.

فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة.

وقد روى ابو طالب عن النبى (ص) احاديث منها ما ذكره الحلبى فى سيرته فقال: وروى ابو طالب عن النبى (ص) فقال حدثنى محمد ان الله امره بصلة الأرحام وان يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره.

وقال سمعت ابن اخى يقول اشكر ترزق واكفر تعذب.

ولما مات ابو طالب نالت قريش من النبى (ص) من الأذى مالم تكن تطمع فيه فى حياة ابى طالب حتى أن بعض قريش نثرا التراب على راسه الشريف وكان (ص) يقول ما نالت منى قريش شيئا اكره حتى مات ابو طالب.

ولما راى قريشا تهجموا على اذيته قال ياعم ما اسرع ما وجدت بعدك.

ومات هو وخديجة فى عام واحد فكان (ص) يسمى ذلك العام عام الحزن.

وإنما أطلت الكلام فى ذلك لتعلم محبة ابى طالب للنبى ومحبة النبى له. وتعلم ايضا أن ما قاله الأئمة الأعلام وهم القرطبى والسبكى والشعرانى والسحيمى من ان الله احياه وآمن بالنبى (ص) له وجه وجيه.

ولذلك قال السحيمى وهو الذى أعتقده والقى الله به واقول ايضا كما قاله انه هو الذى أعتقده والقى لله به وهكذا ينبغى لمن له محبة للنبى (ص) وقرابته فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فيجب على ولاة الأمر ثبت الله بهم قواعد الدين اجراء التأديب اللازم بما يحصل به الزجر سدا للذريعة وحسما للخوض فى مثل ذلك لما يترتب عليه من الفتن العظيمة والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم أمر برقمه خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجى من ربه الغفران أحمد بن زينى دحلان مفتى الشافعية بمكة المحمية غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين أجمعين آمين.

وصلى اللهم على سيدنا وموالانا محمد وعلى آله وسلم فى كل لمحه ونفس عدد ما وسعه علم الله.

فهـــرس الكتـــاب

- تقـــديم ٤
- مـقـدمة المؤلف ١٤
- البـاب الأول: إثبـات الإيمان ١٩
- البـاب الثـانى: ابو طالب والنبى ٣٠
- البـاب الثالث: شـعـر ابى طالب ٤٧
- البـاب الرابع: ابو طالب والشـفـاعـة ٥٥
- البـاب الخـامس: نجاة ابى طالب ٧٠
- مـلـحـق (١) ١٠٢
- مـلـحـق (٢) ١٠٤

مطابع سجل العرب
٩ شارع عماد الدين - القاهرة - ج.م.ع
ت ٩٣٣٧٠٦ ص ب ١٣١٥ تلكس

هذا الكتاب

دعوة إلى إعمال العقل ليس فى نسب النبى (ص) فقط وإنما فى التراث الإسلامى بأكمله. فإن قضية التشكيك فى أبى طالب إنما الهدف منها التشكيك فى النبى وفى دعوته..

وهى قضية واهية بلا جذور ولا أساس..

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا:

ما هى الفائدة من وراء تكفير أبى طالب؟

ما هى الفائدة من التشكيك فى إيمان السند الأكبر للنبى (ص) فى بداية الدعوة؟

ما هو الهدف من وراء هذا الموقف من أبى طالب وأبوى النبى فى الوقت الذى تضفى صبغة الإسلامية والإيمان على أبى سفيان وولده معاوية والحكم بن العاص وولده مروان الذين كانوا وبالاً على الإسلام والمسلمين ولعنوا على لسان الرسول؟

الهادى
للطباعة والنشر